مجلة البيان – العدد 41 ، المحرم 1412هـ / يوليو 1991م

الافتتاحية

قالوا وقلنا

قـالوا: إن الأوطـان تبنى بالمشاركة وتعاون جميع فئات المجتمع ، ولا يتصور قيام مجتمع إلا بمـساهـمة كـل أفـراده -كـل حـسب طـاقـته وتـخـصـصه - في عملية البناء والتنمية-.

قلـنا: نـعم ، وهـذا هو عين ما نفتقده في مجتمعاتنا الإسلامية التي لا يصنف الإنسان فيها على حسب جـدارته ومـواهبه الفردية ، بل على حسب أمور أخرى : كالنسب ، والجاه ، والمال ، ومدى قربه مـن أصحاب السلطان...

ولذلك فإن الوقت قد حان للخروج من أسر هذه المعوقات و المثبطات الـتي أصـبحـت غـير صـالحـة في هذا الزمن الذي اقتنع فيه جل سـكان الأرض أن هذه المقاييس لا تبني بل تهدم ، وهذا المعنى هو الذي يلح عليه العاملون في الحقل الإسلامي في كل مكان ، مع اختلاف بينهم وبين غيرهم في أنهم يريدون تحكيم الإسلام واستلهام مبادئه وآدابه.

قالوا: ولكن من يفسر الإسلام؟ ، و لماذا تنصبون أنفسكم متحدثين باسم الإسلام؟

قـلـنـا: إن الإسلام - بحـمد اللـه - دين محفوظ الأصول ، ويفسره علماؤه الذين ترتضيهم الأمـة. ولـيـس لأحد أن يحتكر حـق التـحدث باسم الإسلام ، بل كل مسلم أنس من نفسه القدرة على التوجيه و النصح فله ذلك - إذا كـان منضبطاً بالأصول المتعارف عليها - فإن أخطأ رد الناس عليه ، وبينوا خطأه.

لكننا نرى أن هذه العبارة : (احتكار التحدث باسم الإسلام والوصاية عليه) قد أصبحت قالباً جامداً من القوالب الجاهزة التي ترمى في وجه كل من يدعو إلى الإصـلاح ومحـاربة الفساد مستنداً إلى تعاليم الإسلام ، فكلما أمر بمعروف أو نهى عن منكر قوبل من يستند إلى هذا الأمر المشروع بهذه التهمة = تهمة الاحتكار و الوصاية ، وهذا أسلــوب مـعـروف في المداورة و المناورة ، فعندما لا تستطيع نكران الحـق إلى تجـريـد من ينطق به من الشرعية التي يستند إليها ، وعندما تفعل ذلك ســوف لن تظل وحدك في مواجهة هذا الحق؛ بل سينضم إليك جموع وأفراد من دعاة الحق أنفسهم، وهذا هو ما يفعله العلمانيون في حربهم للإسلام ودعاته في بلادنا ، وهكذا فإن هؤلاء العلمانـيـيـن لا يحبون ألا يظهروا وحدهم في جبهة ، ودعاة الإسلام في جبهة أخرى، بل يفضلون أن تكون المعركة في صورتها الظاهرة بين فرقين أو أكثر من المسلمين ، وفي الوقت الذي يورِّثون نار العداوة بين طوائف المسلمين ويذكونها بشتى الحيل ، يظهرون بمظهر الآسف أحياناً لما يجري ، وبمظهر الحكم الذي "تدارك عبساً وذبيان بعدم تبزل بين العشيرة بالدم"(1).

قالوا: إن ما ترونه معروفاً أو منكراً قد تخالفكم طبقات من الناس في اعتباره ذاك ، وعندما تلجأون إلى إقرار ما ترونه حقاً ومعروفاً وإنكار ما ترونه منكراً وباطلاً فإنكم تتدخلون في حرية الآخرين ، وهذا هو الإرهاب الفكري.
قلنا:إذن هو اختلاف على تحديد معاني الألفاظ ، ونحن نرضـى أن يكون للألفاظ التي نستخدمها معانٍ محددة لا رجراجة ، ونكره التلاعب بالألفاظ و الرضا بمعانيها في حال أخرى ، والنكوص عن الاعتراف بها في حال أخرى، وهـــذا ما ننقمه على أصحاب الشعارات التي ترفع ثم تفرغ من محتواها،وما نكرهه في لغة السياسيين تلامذة "ميكافيلى" و الشيطان ، فنحن لا نبتكر معروفاً من عند أنفسنا ولا نختلق منكراً ، كما لا نحوِّل محرماً إلى معروف ، ولا حقاً إلى منكر. بل المعروف والمنكر معنيان لهما فـي حـس المسلم وشعوره معانٍ وجذور لا تزيلها السفسطة ، ولا تمحوها الأجهزة الإعلامية على اختـلافـهـــا وجبروتها ، فهي من الحق القديم الذي لا يمحوه الباطل بهيله وهيلمانه ، فالمعروف ما عرفه الشرع، والمنكر ما أنكره الشرع. وهذه حقيقة بسيطة وسهلة ، وكلما حاول المحاولون الدوران حول هذه الحقيقة ، أو استبدالها بتعريف لا تعرفه الأمة ، ولا يلامس شعورها ؛ فإن عاقبة ذلـك مـزيــد من عدم الثقة، ومزيد من المعاناة لأكبر عدد من أفراد المجتمع ، وباختصار؛ كل محاولـــة لاستيراد مفاهيم جديدة لا عهد للأمة بها ، ولا تمثل شيئاً لما سوف ينعكس أثرها آلاماً وفقدان أمن ، وركوداً في جميع المجالات.
قالوا: أنتم لا تريدون الديمقراطية ، وإنما تستغلونها من أجل الوصول إلى الحكم ، فأنتم قوم متعطشون ضد السلطة ، وتتخذون من الديمقراطية سُلَّماً لذلك ، و إذا وصلتم إلى ما تريدون سوف تحكمون حكماً استبدادياً ، وسوف تتسلطون على غيركم ، وتنتهكون حقوق الإنسان ، ولهذا فمن الطبيعي والمشروع لمؤسسات المجتمع والدولة أن تقف في وجهكم.
قلنا: هذا هو أسلوب فرعون في الجدل ، الذي قصه الله-عز وجل- علينا بقوله :((وقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إلَى إلَهِ مُوسَى وإنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ * واسْتَكْبَرَ هُوَ وجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وظَنُّوا أَنَّهُمْ إلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ))[القصص:38- 40].
إن في قولكم هذا من المغالطة قدراً كبيراً ، وكأنكم حينما تلقون بهذا الكلام تصفون أنفسكم بغيركم ، وتنتزعون صفات المظنون من المحقق.
أما المظنون: فهو أن يكون من يلحون بتحكيم الإسلام لهم شأن مؤثر بمؤسسات الحكم في هذا القرن الأخير على الأقل ، فقد أبعدوا وأهملوا قسراً وعمداً ، وعملت القوى التي ترى في الإسلام عدوها الأول على تشويه صورتهم بكل ما أوتيت من قوة وحنكة ووسائل.

وأما المحقق: فعلى العكس من ذلك ، إذ ولِّيت الأمور إما إلى من ليس يعنيه شأن الشريعة الإسلامية بقليل أو كثير،وإما من اعتبر أن مهمته الأساسية كبت هذه الشريعة ومحاربتها، و اعتقدَ أن الأمة لن تنهض إلا بتخليصها من كل أثقال الماضي ورواسبه المتخلفة بزعمه. ولا يمكن لأحد أن يزعم أن الـشعـــوب الـعـربـيـة والإسلامية كانت بعيدة عما يرمي به العلمانيون المسلمين من نزوع إلى التسلط والاستبداد ، فإن هذه الشعوب قد جربت أبشع أنواع الاستبداد والقهر في ظل هذه الحكومات التـي تـسـلـمــت حكم البلاد بعد الرحيل الصوري للمستعمر الغربي ، وعانت من فقدان الحرية بعد فترة الاستعمار ما جعل كثيراً من أفراد هذه الشعوب - ممن جرب العهدين -يتحسر على عهود الاستعمار ، ويتمنى لو رجع هذا الغربي الغريب ينقذهم من ظلم ذوي القربى ، فقد شاهدوا كيف تنحر الحرية باسم الحرية ، وكيف يسود الظلم بدعوى محاربة الظلم ، وكيف تمزق الأوطان بدعوى الحفاظ على الوحدة الوطنية ، وكيف تتعطل أحكام الإسلام باسم الإسلام ، وكيف تتحول أغلبية الناس إلى عبيد في عصر حرمت فيه تجارة الرقيق.

فكيف يُرمى الداعون إلى الإسلام بالتسلط و الاستبداد وهم لم يحكموا ؟!! وكيف يحرمون من حق الاختيار وهم بشر؟! وكيف تفـرض عليهم وجهات النظر الأحادية في العصر الذي يدعي "المتحضرون والمتنورون" فيه أن حـــرية العقيدة وحرية التفكير مكفولة؟ وأي حصانة لمن ينتهك كل المحرمات ثم يرمي البرآء بانـتـهــاك حقوق الإنسان؟ وأي شرعية هذه التي يستند عليها من يداه ملطختان بالدماء فيتهم الـنـــاس جــــزافاً أنهم ظلمة فجرة ، ويسخر مؤسسات المجتمع والدولة للوقوف في وجههم؟ والمؤسسات والـدولة ما احتاج الناس إليها إلا إقراراً للعدل لا تثبيتاً للظلم ، وحرباً للباطل ، لا تمرداً على الـحـق ، وللأخذ على يد الظالم المستهتر ، لا لتقييد الداعين إلى ضمان الحقوق وسيادة التشريع الذي يتساوى جميع الناس أمامه! ،ْ:((إنَّ الَذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ويَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ويَقْتُلُونَ الَذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[آل عمران:21].

إن أجهزة الدول ومؤسـســاتها ليست حكراً على مجموعة تستخدمها لمصالحها الشخصية وضمان استمرار تسلطها ، بل هي مرفق عام لدفع الضرر عن المجموع وجلب المصالح لهم. وما دمتم قد ارتضيتم الديمقــراطية سبيلاً لإدارة الشؤون العامة ؛ فلماذا لا تدعونها تجري مجراها ، وعندما تتكرمون بمـنـحـهــا للشعب؛ فلماذا لا تصحبونها بتعريف محدد يزيل عنها الغبش و الإبهام، فتقولون مثلاً : نريدها ديمقراطية بطول كذا، وعرض كذا، وارتفاع كذا ! وكل مجاوزة لهذه الأبعاد ســوف تجعلنا نسحب هذه "العطية" من أيدي الـذيــــن أعطيت لهم ، ونعيدها إلى مخازنها للحفاظ عليها من الجروح و الخدوش؟!

لكن مهلاً ، إن "العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه"(2) . هذا إذا سلمنا أنكم تملكون ما وهبتم، فكيف بمن يَمُنُّ بما لا يملك؟! لقد آن لمن يتعسفون في استخدام ما بأيديهم من وسائل الإذلال أن يدركوا أن الناس قد شبت عن الطوق ، و أنه لا سبيل للخروج من المآزق التي يجدون أنفسهم فيها إلا بأن يعاملوا المسلمين كبشر ، فيريحوا ويستريحوا.

الهوامش:

1- تضمين لمعنى بيت زهير في معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف :

تداركتماً عبسا وذبيان بعدما تبزَّل ما بين العشيرة بالدمِ

2- صحيح ابن ماجه 2/47 ، وصحيح النسائي 2/786.

علماء الاجتماع والعداء للصحوة الإسلامية(2)

الاعتراف بفشل التحليلات الماركسية

د.أحمد إبراهيم خضر

تعرضنا في الحلقة الأولى لبيان كيف أن الصحوة الإسلامية قد باغتت رجال الاجتماع في بلادنا ولتساؤلهم لأنفسهم أين كانوا وقت حدوثها ؟ وكيف كانوا يعتقدون بأن ما يسمونه بالانتصارات الوطنية والقومية قد خلفت الدين وراءها؟ ، ثم اعترافهم بعدم قدرة الوطنية والقومية على البقاء أو جذب الجماهير حولهما ، واعترافهم كذلك بأن (العقلانية) التي علقوا عليها آمالهم في فهم الواقع العربي قد أصبحت عاجزة على الصعيدين النظري والمنهجي ، وأن التفكير العقلاني أصيب بأزمة عميقة وخيبة أمل ، ثم اعترافهم بسقوط شعارات التحديث والعلمنة وبناء المجتمع الحديث. ثم عرضنا أخيراً لتشخيصهم لسمات الحركة الإسلامية التي سعوا إلى رصدها أملاً في التحكم فيها.

وسنخصص هذه الحلقة لبيان اعترافات الماركسيين العرب من رجال الاجتماع في بلادنا بفشل تحليلاتهم عن الصحوة الإسلامية والدروس التي تعلموها منها.

في كلمات بسيطة وموجزة حسم الأستاذ (محمد قطب) القضية التي قضى رجال الاجتماع من الماركسيين العرب زمناً في دراستها.

يقول الأستاذ محمد قطب : "جاءت الصحوة الإسلامية في موعدها المقدور من الله.. وكانت مفاجأة ضخمة لكثير من الناس " وعن الذين باغتتهم هذه الصحوة يقول : "هؤلاء قد أغفلوا حقيقة ضخمة تندرج تحتها حقائق كثيرة لا تسير حسب حساباتهم ، ولا تستطيع حساباتهم أن تصل إليها ، لأن الله قد جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً.. أغفلوا بادئ ذي بدء أن الذي يدبر

الأمر في هذا الكون العريض كله ليسوا هم وليس غيرهم من البشر ، إنما هو الله ". (1)
الماركسيون من رجال الاجتماع العرب ليس مرجعهم "الله -عز وجل- " ، إنما مرجعهم ماركس ولينين وماكس فيبر وألتوسير وغرامشي وسمير أمين وطيب تيزيني وعابد الجابرى وحسين أحمد أمين ومحمد أركون وعبد الله العروي.. الخ.
يقول "علي الكنز" أستاذ الاجتماع في جامعة الجزائر في تفسيره للصحوة الإسلامية : "لتفسير صحوة وانتعاش التوجه الديني الذي تعرفه المجتمعات العربية المعاصرة استعملت العديد من فرضيات البحث ، لكل واحدة منها فعاليتها النظرية الخاصة. وباختلاف هذه الفرضيات من حيث التناول والطرح فهي ساعدت على كشف واقع التشكيلات الاجتماعية العربية الراهنة. هذه الفرضيات العديدة والمختلفة وضعت من قبل الكثيرين من أمثال :سمير أمين والطيب تيزيني ومحمد أركون وعبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وغيرهم من الذين زودوا الانتاج العلمي بإنتاجهم الذي لا يستهان به من حيث نوعية التحليل وثراؤه ".(2)
وفي إحدى الحواشي لدراسته عن الإسلام والهوية يذكر أنه تبنى عنوان كتاب حسين أحمد أمين : دليل الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين (3) ، وفي حاشية أخرى يقول : "ونستطيع هنا أن نردد الطريقة اللينينية المتعلقة (بالحلقة الأكثر ضعفاً) ، أو بطريقة غرامشي (الزمن التاريخي) ، أو حتى المقولة الألتوسيرية المستوحاة من التحليل النفسي(4).
هؤلاء هم مراجع الماركسيين العرب من رجال الاجتماع في تفسير الصحوة الإسلامية. وسنعرض فيما يلي اعترافاتهم الصريحة بإخفاق تحليلاتهم وتفسيراتهم لهذه الصحوة ، وما تضمنته هذه الاعترافات من تأكيد على خيبة أملهم في (العقلانية)(5) التي ظنوا أنها ستساعدهم في فهم الواقع العربي.
أولاً: قولهم بارتباط الدين بالتراجع والتقهقر ، وارتباط العقلانية بالصعود والتطور.
الدين عند رجال الاجتماع تعبير عن الحزن وانعكاس لبؤس العالم وشقائه ، أما الفكر العقلاني فهو تعبير عن حيوية الوعي الجماعي الذي يعكس تطور العالم وازدهاره..ومن ثم فإن الصحوة الإسلامية وما يسمونه بانتعاش التوجه الديني هو عندهم تراجع وتقهقر إلى الوراء.
يقول علي الكنز:(.. فهل يمكن لنا أن ندلي بأن الوعي الديني أو التشبث بالدين هو مُزامن للفترات التراجعية والمراحل المتقهقرة ، وأن الفكر العقلاني يزامن الفترات التصاعدية أو المتطورة ، ونقول أن ذلك هو تطبيق للقانون التاريخي.. وعليه ؛ فإن الدين هو بمثابة تعبير عن الحزن ، وبالتالي فهو انعكاس لبؤس العالم وشقائه ، وعكس ذلك اعتبار الفكر العقلاني بمثابة

تعبير عن حيوية الوعي الجماعي الذي يعكس هذه المرة تطور العالم وازدهاره)(6)
اعترف الماركسيون العرب من رجال الاجتماع بعد مراجعة حساباتهم بفشل تصوراتهم عن الارتباط بين الدين والتقهقر ، وبين العقلانية والصعود ، وساقوا الأسباب الآتية لبيان فشل هذا الارتباط : -
1- أن هذا الارتباط يأخذ تاريخ الغرب على أنه النموذج الأصلي والمرجعي لتاريخ البشرية وهذا غير صحيح باعترافهم.
2- أن هذا الارتباط يعتبر أحكاماً مسبقة لا أساس لها من الصحة لكونها غير مبنية على وقائع تاريخية أو براهين استدلالية.
3- أن هذا الارتباط يمثل في رأيهم سقوطاً فيما يسمونه (بغي الأيديولوجية الوضعية(7) ، والعلموية(8) التي أنتجتها الثقافة الغربية) ، بمعنى أنه: (استهلاك لقراءة غربية يستهلكها الفكر العربي باسم العقلانية) ، وبصورة أخرى:أنه (تبنٍ لايديولوجيات وفكر ونظريات أنتجت خارج المجتمعات العربية) ، وذلك حسب تعبيراتهم ذاتها التي أوردوها في ثنايا اعترافهم (9).
ثانياً: قولهم بالقدوم المظفر والمنتصر لرجل التقنية وزوال ما يسمى (برجل الدين).
من المعروف أنه ليس هناك رجال دين في الإسلام وإنما هناك علماء، فمصطلح (رجال الدين)، انتقل إلينا من النصرانية ، وشاع استخدامه في بلادنا بسبب التأثر بحضارة الغرب.
اعتقد الماركسيون العرب من رجال الاجتماع نقلاً عن عبد الله العروي بأن ما يسمى برجل الدين قد اختفى وزال من الساحة بسبب القدوم المظفر والمنتصر لرجل التقنية لكنهم عادوا يعترفون بعدم صحة ذلك مؤكدين في نفس الوقت اعترافهم بفشل العقلانية وأشكال تحليلاتها.. وساقوا بأنفسهم أيضاً أدلة عدم صحة افتراضهم السابق على النحو التالي :(10)
1- ان الاعتقاد بزوال ما يسمى برجال الدين مغالطة لا تشاهد في التاريخ ، يقول علي الكنز معترفاً: (إن التحليل السوسيولوجي الذي جاء به عبد الله العروي وتبنيناه نحن بدورنا..ما هو في نهاية الأمر إلا مغالطة يمكن أن تكون انطلقت من حالة تلبس صامتة وهي مغالطة لا تشاهد في التاريخ).
2- أن إيمانهم بزوال ما يسمى برجل الدين كان سببه تبنيهم للعقلانية كشكل إيديولوجي جعلهم يرون ما يريدون هم رؤيته ، وهو زوال ما يسمى برجل الدين ، يقول علي الكنز معترفاً: (وهل اختفى رجل الدين عن الساحة فعلاً ، أم أن إداركنا الإيديولوجي لهذه الساحة هو الذي أوحى لنا بذلك تحت أشكال عقلانية ، حتى أصبحنا نؤمن بالوهم القائل بزوال رجل الدين؟ إنها صورة مزيفة جعلتنا نشاهد ما نريد نحن مشاهدته) ، ويعترف علي الكنز مرة أخرى : (وبناءً عليه وبما أنه من المحتمل جداً عدم اختفاء رجل الدين عن الساحة ؛

فإنه يجب أن نتساءل ، بل نسأل أنفسنا ليس عن هذا الاختفاء بما أنه لا وجود له على الإطلاق ، بل عن عدم قدرتنا على كشف حضور رجل الدين بين فجوات الأيديولوجية المسيطرة حالياً).(11)
ثالثاً: قولهم بأن الصحوة الإسلامية ظهرت بسبب عدم نضوج التركيبة الطبقية العربية:
يعلل الماركسيون العرب ظهور الصحوة الإسلامية بما يسمونه عدم نضوج وعدم اكتمال تكوين التركيبة الطبقية في العالم العربى التي من شأنها إذا كانت كاملة منسجمة وناضجة أن تؤدي إلى ظهور إيديولوجية علمانية وعقلانية ، وأنها إذا كانت غير كاملة ومذبذبة ستؤدي إلى ظهور إيديولوجية دينية ولا عقلانية. ولهذا فإن عدم اكتمال ونضوج هذه التركيبة الطبقية في العالم العربي -كما يتصور الماركسيون العرب - الذين وصفوها بأنها عاجزة ومشوهة أدى إلى فراغ ، هذا الفراغ هو الذي أدى لظهور الصحوة الإسلامية.
ويستند الماركسيون من رجال الاجتماع العرب هنا إلى فكرة (محمد أركون) القائلة بأن المجتمعات العربية لا يوجد لديها ما يقابل أو يعادل طبقتي (البورجوازية والبيروليتاريا) في المجتمعات الغربية ، بمعنى أن هاتين الطبقتين اللتين تضامنتا وتصارعتا عملتا على إظهار الأيديولوجية العلمانية في الغرب ، لكن ضعفهما الملحوظ في عالمنا العربي ساعد على ظهور الصحوة الإسلامية. هذا ويضيف الماركسيون العرب أسباباً أخرى لظهور الصحوة الإسلامية منها :الفشل الاجتماعي والاقتصادي للمجموعات التي أزالت الاستعمار وقامت بالتنمية الوطنية ، ومنها أيضاً :وجود مجموعات متحالفة مع الغرب وأخرى طفيلية ظهرت وانتشرت أخيراً.(12)
ثم يعود الماركسيون العرب من رجال الاجتماع إلى الاعتراف بفشل هذا التحليل ، استناداً إلى ما يلي:
1- أن هذا التحليل اعتمد على المماثلة والقياس بالغرب ، بمعنى أنه يعتبر أن الفئات التي ظهرت وتصارعت قديماً في أوربا ، وأنها تشبه الطبقات الرئيسية بها وخاصة البورجوازية والبروليتاريا. هذه المماثلة - باعترافهم - غير صحيحة لأن هاتين الطبقتين الرئيسيتين في المجتمعات العربية تختلفان من حيث السلوك عن النموذج الأصلي لهما ، ومن ثم - نعتوهما - بعدم النضوج واللاعقلانية الذي مهد لظهور الصحوة الإسلامية(13) ، ويلخص الماركسيون العرب من رجال الاجتماع هذه النقطة بقولهم : "إن هذا الفكر التحليلي سجن نفسه في إطار محدد وحبس نفسه في حقل تاريخي واجتماعي غريب عنه".(14)
2- أن واقع المجتمع العربي لا يتفق مع ما يريده الماركسيون ولا يخضع أفراده (لقيم الإنتاج) التي يتحدثون عنها ، ويعني هذا:أن الناس لا تربطهم المصالح الاقتصادية دائماً وإنما الدين هو الذي يسيطر عليهم.(15)

3- الخطاب الديني - باعترافهم - خطاب متفوق وليِّن ، يجتاز ويؤثر على جميع الفئات الاجتماعية ، بما فيها تلك الفئات التي يأملون أن تقوم بالتغيير كالبورجوازية والبروليتاريا ، بالإضافة إلى فئات صغار وكبار الموظفين (16) ، وفي عبارات صريحة تحوي اعترافاً صريحاً بفشل نموذج التحليل الماركسي ، وبإخفاق واضطراب الفكر العقلاني ، وبسعي كل الطبقات إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وممارسة الشعائر الدينية ، يقول علي الكنز: (نحن اليوم أمام فشل نموذج التحليل ، وأمام قلق واضطراب الفكر العقلاني ، وإذا كنا ننتظر على الأقل تأثرات الطبقة العاملة والبورجوازية أن تتبلور وتتجسد داخل الحركة الاجتماعية، فنحن نلاحظ هروب هذه الطبقات عن كل الفاعلين: شعائر دينية وأصول عرقية والتحريض لتطبيق الشريعة الإسلامية في قانون الأسرة..الخ ، إنه إخفاق في نظري يضع الفكر التحليلي أمام البديل).(17)
رابعاً: اعترافهم بأن نظرية الصراع الطبقي مسؤولة عن الدمار الذي يتخبطون فيه ، لا زال الماركسيون العرب من رجال الاجتماع يصرون على أن فكرة الصراع الطبقي فكرة صائبة ، بالرغم من أنهم اتهموا هذه النظرية بأنها مسؤولة عن الدمار الذي يتخبطون فيه. كما يعترفون بأن بعض المحللين العرب أرادوا قراءة الواقع العربي ماضياً وحاضراً انطلاقاً من معطيات المجتمعات الغربية وفي ضوئها. ويعترفون كذلك بأنه في هذا التاريخ الأوربى الذي يتخذونه كنموذج :نادراً ما تطاحنت الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الرأسمالية ، وأنها لم تكن فاعلة مباشرة ، ولم تتمكن من فرض نفسها كطبقات..
كما يعترفون بأنهم تسرعوا في الحكم على الواقع العربي لأنهم لم يراجعوا نظرية الصراع الطبقي في فئاتها المرجعية المستعملة وفي منطلقاتها النظرية ولم يتأكدوا من صحتها ومدى ملائمتها ومدى صحة وقابلية أدواتها ، بل اعتبروا أن هذه النظرية هي الواقع الوحيد ، واحتقروا الحركة الإسلامية لأنها لم تتطابق مع نموذجهم المرسوم" (18).
وسجل هذه الاعترافات علي الكنز بقوله :
(لقد تسرعنا في مشاهدة الطبقات وفئاتها، وكذلك البورجوازية والبروليتاريا والبورجوازية الصغيرة والفلاحين ، داخل الحركات الاجتماعية والسياسية التي زعزعت بلدان العالم الثالث ، وقد تم هذا التسرع دون مساءلة المنطلقات النظرية والفئات المرجعية المستعملة ، وحتى التأكد من صحتها ومدى ملائمتها. وهكذا قمنا بالمعاينة دون التفكير في مدى صحة وقابلية تلك الأدوات ، بحيث أصبحت النظرية العلمية للطبقات هي المرجع الوحيد ، وعندما نشاهد الطبقات الاجتماعية حيث لم تكن موجودة حتى وإن تم ذلك على حساب الحركة الاجتماعية واحتقارها لا لشيء إلا لأنها غير مطابقة للنموذج المرسوم).(18)

خامساً : اعترافهم بعدم ارتباط ظهور الجماعات الإسلامية بانحطاط وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية أو تطورها.
تبني بعض الماركسيين العرب من رجال الاجتماع فكرة أن هزيمة 1967 وتدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية هي السبب الرئيسي لظهور الجماعات الإسلامية ، ومن ثم رأوا أن ما يسمى بالفهم العلمي السليم لما يسمونه بهذه الظاهرة والتصدي لها بجدية لا يتحقق إلا بفهم البنية الاجتماعية التي ظهرت فيها ، وفهم مجموعة الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة ، بمعنى أن الصحوة الإسلامية ظهرت كرد فعل لحالة أزمة حادة وعامة على المستوى الاجتماعي ، وأن وجود أزمة حادة وعامة كان ولا يزال الشرط الضروري اللازم لظهور واندفاع ما يسمونه بالحركات الدينية والاجتماعية ذات الطابع التعبيري.
يقول "عضيبات" أستاذ الاجتماع بجامعة اليرموك بالأردن :(هذا ويلاحظ خلال التاريخ العربي أن ظهور الحركات الدينية الاجتماعية كان ولا يزال مرتبطاً بفترات الاضطراب الحاد ، التي يكون فيها بقاء المجتمع وتماسكه واستمراره مهدداً ، لذلك كانت هذه الحركات الدينية الاجتماعية ولا تزال بمثابة استجابات للأزمات الروحية والاجتماعية والسياسية الحادة التي شهدها ولا يزال يشهدها مجتمعنا العربي الإسلامي).(19)
واستشهد (عضيبات) بالأزمة التي مر بها المجتمع العربي الإسلامي خلال فترة حكم معاوية ، والتي مهدت لعمر بن عبد العزيز إعادة توجيه الحكم بما يتفق والمبادئ الإسلامية ، كما استشهد أيضاً بتجربة الإخوان المسلمين التي أسسها (حسن البنا) ، والأزمات التي كان يعانيها المجتمع في عهده ، ليصل في النهاية إلى القول بأنه (من المؤكد أنه في ظل الظروف البالية والقلقة التي يعيشها الآن مجتمعنا العربي الإسلامي ، فإن نشاط الحركات الدينية مستمر لمواجهة هذه الظروف) (20)
أخذ سمير نعيم" أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس بالقاهرة كمثالٍ ، سعى فيه جاهداً ليثبت أن سبب انتشار الدين والجماعات الإسلامية كان مرتبطاً بالخلل الذي أصاب النظم الاجتماعية في مصر على كافة المستويات.
تعرض نعيم لفساد النظام الاقتصادي الذي قال :أن مفاتيحه قد أصبحت في يد الغرب الذي يملك في أي لحظة إحداث انهيار في هذا الاقتصاد ؛ إذا ما تهددت مصالحه ، أو تعارضت القرارات القومية المصرية مع هذه المصالح ، كما كشف عن تراجع الصناعات التحويلية والزراعة ، وتراجع دور الدولة في إقامة المشروعات الكبرى التي تستوعب الطاقة العاملة ، وتحدث عن ظهور واستشراء الفئات الطفيلية التي شهدت ثراء فاحشاً من خلال عملية تخرب الاقتصاد المصري ، وانتشار تجار العملة ، وزيادة معدلات التضخم ، واشتداد أزمة الإسكان ، وبطالة الشبان المتعلمين ، وكذلك انتشار الفساد والانحلال

الخلقي ، وتراجع قيم الشرف ، وأن المال أصبح هو القيمة العليا ، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة حتى لو كانت هذه الوسيلة هي بيع الشرف أو الدعارة.
وعن تدهور النظام التعليمي ؛ أوضح نعيم: أنه نظام يعتمد على التلقين القائم على حشو ذهن الطالب خلال مراحل الدراسة بمعلومات عليه أن يحفظها دون أن يشغل عقله بالتحليل والنقد ، ودون أن يشجع على المعرفة والفكر أو المطالعة في المكتبات.
وعن فساد الثقافة والإعلام ؛ بيَّن نعيم كيف أن الثقافة تحولت إلى سلعة تجارية واستثمارية تهتم بالربح وبالمظهر أكثر من الفائدة والمضمون ، وأشار أيضاً إلى الفن الهابط والمبتذل في المسارح ، المتاح فقط لمن يقدرون على تحمل أثمان دخول هذه المسارح ، ولتلك الفئة من الشباب التي تتفق قيمها وميولها مع ذلك النوع من الفن المشجع على الانحراف. أما وسائل الإعلام :فإنها تعرض لجماهير الشباب صوراً متنوعة وبكثافة عالية للإنفاق البذخي والمظاهر الاستهلاكية ، التي تعجز غالبية الشباب عن مجاراتها كما أنها تعرض نماذج سلوكية وثقافية غريبة مبتذلة ، بما يثير نقمة واشمئزاز الكثير من الشباب ، أو يمثل غواية لهم للانحراف.
أوضح نعيم :أن نتائج فساد كل الأنظمة من اقتصادية وسياسية وتربوية وثقافية ، تصب في الأسرة التي تقوم بالتنشئة الاجتماعية الأولى للإنسان ، ثم تحدث عن المشكلات اليومية التي تواجهها الأسرة المصرية من مواصلات وإسكان وغذاء وملبس وتعليم وصحة وتلوث وضوضاء وفوضى واضطراب وتسيب وفساد ، وحصار إعلامي ودعائي..الخ (21).
انتهي سمير نعيم من كل ذلك إلى القول :بأن كل هذه الظروف أدت إلى ظهور الجماعات الإسلامية التي انضم إليها الشباب لمواجهة هذا الفساد وهذا الخلل في النظم الاجتماعية ، وأن هذه الجماعات قد سارعت لملء الفراغ الثقافي الذي تسبب عن فساد الثقافة والإعلام بطبع كتب وصحف ومجلات وأشرطة وفيديو كاسيت بحجم ضخم ، واعترف نعيم كذلك بزيادة حجم الإقبال على هذا المنتج. كما أشار إلى دور هذه الجماعات في بيع ملابس المحجبات والكتب والدروس الخصوصية بأسعار رمزية زهيدة ، وأنها قامت بخدمات إنسانية اجتماعية عبر الساجد ، كالعلاج الصحي في المستوصفات والدروس المجانية للطلاب ، أو المساعدات الاجتماعية ، ودور الحضانة.. الخ. (22)
تؤكد الشهادة السابقة لعضيبات وسمير نعيم هذا الدور الإيجابي والبنَّاء للجماعات الإسلامية في موجهة الخلل والفساد الذي حل بالنظم الاجتماعية وأصابها في الصميم ، ومع ذلك يصر رجال الاجتماع على مهاجمة هذه الجماعات ومناصبتها العداء ؛ لا لشيء إلا لأن ماركسيتهم تعادي الدين وكل ما يرتبط به من حركات ورموز.

ومع كل هذا ؛ فإن الصحوة الإسلامية لم تظهر بسبب تدهور البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع ، وإنما جاءت كما يقول الأستاذ محمد قطب : (في موعدها المقدور من الله) ، ونأتي هنا إلى اعترافات البعض الآخر من الماركسيين العرب من رجال الاجتماع بخطأ الربط بين ظهور الصحوة الإسلامية وتدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

يرى "علي الكنز" أن ربط انتشار الدين بالانحطاط أو التطور الاقتصادي والاجتماعي منزلق وقع فيه رجال الاجتماع ، واستدل الكنز لإثبات ذلك بالماضي الأوربي ذاته الذي ظهرت فيه الرأسمالية في الأصل في وقت عرفت فيه البلدان الأوربية إصلاحات دينية ، وربطت التنمية بانتشار الأيديولوجية الدينية كما حدث في كل من بريطانيا وأمريكا الشمالية وهولندا.. استدل الكنز أيضاً باليابان في الحاضر المعاصر التي تربعت على عرش الاقتصاد العالمي مقابلة بالصين ، فاليابان ربطت الدين بالمجتمع والدولة ربطاً عضوياً ، وفعلت الصين المستحيل لمنع ذلك(23).

ويشير الكنز في مثال آخر إلى الكاثوليكية التي أثارت العمال والشعب البولوني لمحاربة الطبقة الحاكمة ، وإلى الإيرلنديين ومناهضتهم للبروتستانت الإنجليز ، ويوجز الكنز ملاحظاته هذه معترفاً بقوله : (وبإمكاننا تعداد هذا النوع من الملاحظات اللامنتهية ، وتوضح اليوم -كما في الأمس- بأن البعد الديني قد ساهم دوماً بشكل أو بآخر في تبلور الهوية الجماعية ، وبأن انتشاره لم يرتبط في كل زمان ومكان بفترات الانحطاط أو التطور الاقتصادي الاجتماعي(24).

ويعطي "فرحان الديك" مثالاً آخر من الواقع العربي على خطأ هذا الربط ؛ فيقول : (..فظهور مثل هذه الحركات لا يمكن رده كما يفعل البعض إلى تردي الوضع الاقتصادي ، وربط ظاهرة الصحوة الدينية بالأزمة الاقتصادية ؛ لأن ما يسمى بالمد الديني ظهر وتطور في الفترة الزمنية نفسها التي تميزت أيضاً بالطفرة أو الفورة الاقتصادية التي عرفتها -ولكن بدرجات متفاوتة بالطبع- كل المجتمعات العربية(25).

إلا أن المثير للدهشة والعجب أن يدعي رجال الاجتماع بعد كل اعترافاتهم بفشل تحليلاتهم أن التيارات الوطنية والليبيرالية واليسارية والقومية هي المحاصرة في بلادنا ، وأن هناك تضييقاً على دعاتها وتنظيماتها ، وأنه لهذا السبب فإن الساحة ستظل شبه خالية أمام الحركات الدينية الاجتماعية ، وسيملأ فكرها وتنظيماتها الفراغ القائم (26).

لا أحد يشك في عدم صحة هذا الادعاء ، ولا أحد ينكر أن التنظيمات الإسلامية هي المحاصرة من الداخل والخارج، وأن هناك تضييقاً على دعاتها، وأن الساحة ليست خالية تماماً أمامها، ولا يرد هذا الادعاء إلا اعترافاتهم أنفسهم بفشل تحليلاتهم وتفسيراتهم وافتراضاتهم ، وعلى رأسها نظرية الصراع الطبقي.

جاءت هذه الاعترافات للـمـاركسيـين العرب من رجال الاجتماع إثر دروس قاسية تعلموها من الصحوة الإسلامية، كـــان أقسى هذه الدروس عليهم أن تاريخ الوطن العربي ليس هو إعادة ولا تكرار لتاريخ أوربا في القرن العشرين، عبر الماركسيون عن ذلك بمرارة في قولهم: (وبكل قساوة تمكن الفكر الـعـربي العقلاني اليوم من اكتشاف هذا الدرس الجدلي)(27) ، أما الفكر العقلاني ذاته فـقـد أصيب كما أوضحنا سابقاً بأزمة عميقة أجبرت أصحابه على ضرورة التفكير في نـقــــده نقداً جذرياً ، مع الاعتراف بأن هذا الفكر العقلاني مأخوذ من الثقافة الغربية بطريقة سيئة جداً بنص عباراتهم.
عـلـمـتـهـم الـصـحـوة الإسلامية :أن عليهم التخلي عن الوضعية التي غلفت لهم بغطاءات ماركسية متدنية ورديـئــة بنص عباراتهم أيضاً ، وأن الجماعات الإسلامية ليست بطبقات اجتماعية، وأن عليهم أن يلاحظوا هذه الصحوة بكل رصانة وبكل سكينة -بنص عباراتهم كذلك - ، على أساس أن هذا هو أول شرط للتحليل العقلاني الذي أجبرته هذه الصحوة على أن يعيد النظر في افتراضاته ومنطلقاته النظرية ، وحتى إشكالياته ومنهجياته ، على أمل زائف من أن يتمكنوا من ضبط ما يسمونه بالواقع التاريخي.
الصحوة الإسـلامـيـة عـنـد الـمـــاركسيين العرب من رجال الاجتماع (تحديد سالب لكيان اجتماعي يستعيد حيويته ، ويتـبـلور في حركة سياسية)(28) ، تصور رجال الاجتماع أنه لا زال بإمكان الفكر العقلاني مواجـهـــة هذه الصحوة إذا نوَّع مجالات بحثه وانفتح على هذه الصحوة، واعترف بـهــــا كواقع، وأن يتخلى عن منهجيته القائمة على أساس عالم متخيل. إلا أنهم رغم ذلك يـرون أن الصحـــوة الإسلامية هي انحراف للوطن العربي عن مساره الطبيعي وتجميد لتطوره، ذلـك لأن هــــذه الـصـحـــــوة رفضت رفضاً كلياً الحداثة والعلمانية والليبرالية والتقدمية ؛ ولهذا رموها بالانحراف والجمود.
اعترف رجال الاجتماع بأن فشل التجارب التنموية والوطنية تسبـبـتـا في ثغرة أدت إلى ما أطلقوا عليه بالهجمة الواسعة للتوجه الديني الذي غاص في هذه الثغرة وحقق نجاحاً لامعاً وسريعاً .
تـعـلـم المـــاركسيون العرب من الصحوة الإسلامية درساً قاسياً آخر هو :أن الدين يمكن أن ينوب عن رمزيتهم العقلانية والعلموية التي تشهد -كما يقولون - أزمة عميقة.
تعلموا أيضاً :أن الإسلام بصفة خاصة يمكن أن يستفيد بشدة من الاضطراب الذي تسبب عن التقنية الغربية وأزمة الأنظمة السياسية الغربية(29).
تعلموا أيضاً: أن الإسلام لا العقلانية هو المطابق للوسط الثقافي المحلي،وللمرجع التاريخي الحضاري للشعوب وأخلاقياتها ، أما الإسلام السياسـي - كما يسمونه - فهو كالحوت في البحر بنص عباراتهم (30)، وأنـــه

يـتـمـيـز بـاســتـراتيجية وبتكتيك وبتقنيات الخطابة والدعاية ، وأنه يستمد سلطته من الجماهير(31).
عـلـمـتـهم الصحوة الإسلامية أن الدين يمكن أن يتغلب على غيره في كل الفترات ، سواء أ كانت فـترات صعود نحو العلمانية والعقلانية ، أو فترات انحطاط وتدهور كما يتصورون؟.
ودرس آخـــر شديد القسوة تعلموه من الصحوة الإسلامية هو :قدرة الإسلام على الانتشار الواسع المحـلـي والــوطني ، وقدرته على إفشال الأحزاب والحركات السياسية العلمانية التي تأسست في خـضـــم حركات التحرر والتشييد الوطني ، وقدرته على التحول بسرعة خاطفة إلى أحزاب جماهيرية تستطيع توجيه أسلحتها الثقيلة حسب عباراتهم نحو مسألة شرعية السلطة السياسية وأنظمتها القائمة على الوطنية والتنموية(32) ، يقول علي الكنز: (لـقـد بـنـيـت الأنظـمـة العربية اليوم على أسس الوطنية والتنموية ، ونراها اليوم تنحسر وتنهار بوطنيتها وتنميتها في الوقت ذاته).
-يتبع-

الهوامش :

1- محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة ، جدة 1989 ، ص364.
2- علي الكنز ، الإسلام والهوية ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت1990 ، ص 397.
3- تابع ص 100 .
4- تابع ص 108.
5- انظر تعريف العقلانية ، الحلقة الأولى ، حاشية رقم 9.
6- علي الكنز ص 99
7- أول مـــن اســـتـخـدم مصطلح الوضعية هو سان سيمون ليشير به إلى منهج علمي يمتد ليشمل الفلسفة أيضـــاً ، ثم تبناه بعد ذلك أوجست كونت ليؤسس به حركة فلسفية كـبـيـرة انـتـشــرت بقوة في كل بلاد العالم الغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والعقود الأولى من القرن العشرين ، تقوم الإلزامية الوضعية على مبدأ أن العلم هو المصدر الصادق والوحيد للمعرفة والحقائق.وتتخذ الوضعية موقفاً عدائياً من الدين، ولـهـــذا فهي تنكر كل جوهر يذهب وراء حقائق وقوانين العلم ، وترفض أي نوع من الميتافيزيقيا، واســتـبـدلـت الدين المعروف بدين وضعي ، كما وضعت أخلاقاً وسياسة وضعية.
انظر:
Nicola Abbagnano, Posivitism, The Encyclopedia of Philosophy Macmillan Publishing N.Y.Q London p 414
هذا وأطلق الشيخ مصطفى صبري على هذه الفلسفة بالفلسفة الوضعية (الإثباتية): الالحادية ، وعاب على علماء الأزهر انخداعهم بها وعدم إدراكهم

لإلحادها، انظر: مصطفى صبري ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسليـن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت[ج ا /ص 148-149 ، ويعتبر الشيخ فريد وجــدي من أبرز العـلـمـــاء في الأزهر الذين خدعتهم هذه الفلسفة إلى درجة أنه قد توافقها مــــع الإسلام ، وكـتـب عنها قائلاً: (.. هذا هو رأى الفلسفة الوضعية التي أساسها الدليل المحسوس الذي لا ينقض في أي عهد من العهود المستقبلة، وهو يعتبر أساس الحكمة الإســلامية :((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ)). انظر: محـمــد فـريــد وجدي ، السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة- مجلة الأزهر ج 3 ربيع الأول 1364/1945 ، مجلد16 ، ص100.

8- العلموية أو النزعة التعالمية مصطـلح يعني :أن العلم يستطيع أن يزود الجنس البشري بفلسفة شاملة في الحياة ، وبحل لجميع المشكلات ، وينظر إليه كأيديولوجية تشتمل على أرفع القيم وأرقــاهـــا. انظر: محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ص 403.

9:18- على الكنز: ص 99-102.

19- عـاطـــف العقلة عضيبات ، الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العرب الإسلامي، الدين والمجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ص 155.

20- تابع ص 157 .

21 - سمـيـر نعـيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الدينى، الـديـــن والمجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ص 223 ، 235 ، 237.

22- تابع ص 234.

23- علي الكنز ص 105.

24- تابع 105-106.

25- فرحان الديك، الأساس الديني في الشخصية العربية، الدين في التجمع العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ص 118.

26- عضيبات ص 160.

27:33- علي الكنز ص:100-109.

منهج أهل السُّنة في النقد والحكم على الآخرين (2)

هشام بن إسماعيل

العدل في وصف الآخرين :

وهـي جـزء مـن الـقاعـدة السـابقـة ، ولـكـن لأهـمـيـتها أفـردت لوحـدهـا.
والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى:((وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)) [هود: 85] .
والمـقـصـود بالعـدل فـي وصف الآخرين هو: العدل في ذكر المساوئ والمحاسن ، والموازنة بينهما.
وثـبـت أن الـنبـي -صـلـى الله علـيه وسـلم- قال :»كل ابن آدم خطَّاءٌ ، وخير الخطاءين التوابون«(1).
فلا أحد يسلم من الخطأ ، فلا ينبغي أن تدفـن مـحـاسـن المرء لخطأ ، كما أن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث. (2)
ولذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحـاســن لوجـود بـعض المـساوئ ، كما لا ينـبـغي أن يـدفـن المحـاسـن ويـذكر المساوئ لوجود عداوة أو بغضاء بينه وبين من يصفه، فالله عز وجل قد أدبنا بأحسن أدب وأكمله، فقال سبحانه:((وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)) [هود:85]. وإنك لتجد كـثيراً ممن يذم غيره بذكر مساوئه، ويغض الطرف عن محاسنه، بسبب الحسد والبغضاء، أو لتنافس مذموم بينهما.
ولكن المنصفون هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شر ولا يبخسونه حقه ، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد ، أو في المذهب والانتماء.
ومـــن العلماء الذين برز إنصافهم لغيرهم : الحافظ الذهبي -رحمه الله- فمن خلال كتابه القيم:"سير أعلام النبلاء" ، والذي ترجم فيه لعدد من العلماء الأجلاء ، وكذلك لعدد ممن اشتهر بين الناس وكان من أهل البدع أو الفسق أو الإلحاد ، تجده لم يبخسهم ما لهم من صفات جيدة ، بل أنصفهم بذكر ما لهم وما عليهم.
وهناك أمثلة كثيرة على ذلك ، منها:
1- قال عن عبد الوارث بن سعيد: (وكان عالماً مجوداً ، ومن أهل الدين والورع ، إلا أنه قدري مبتدع) السير (8/301)
2- وقال عــن الـحـكــم بن هشام: (وكان من جبابرة الملوك وفساقهم، ومتمرديهم، وكــان فارساً، شجاعاً، وكان ذا دهاء وعتوٍّ وظلم ، تملك سبعاً وعشرين سنة) السير (8/254).
3- وقـال عـــن الواقدي: (والواقدي وإن كان لا نزاع في ضعفه فهو صادق اللسان، كـبـيـر القدر) ، السير (7/142).

4- وقال عن المأمون الذي تبنى فتنة القول بخلق القرآن وامتحن علماء أهل السنة بذلك: (وكان من رجـــــال بني العباس حزماً، وعزماً، ورأياً، وعقلاً، وهيبة، وحلماً، ومحاسنه كثيرة في الجملة)السير (10/273).
5- وقال في ترجمة الجاحظ الأديب المعتزلي : (العلامة ، المتبحر ، ذو الفنون..وكان أحد الأذكياء.. وكان ماجناً ، قليل الدين ، له نوادر) السير (11/256).
6- وقال عن قرة بن ثابت :(الصابئ ، الشقي ، الحراني ، فيلسوف عصره..وكان يتوقد ذكاء) السير (13/ 285).
7- وقال في ترجمة الخياط المعتزلي: (شيخ المعتزلة البغداديين ، له ذكاء مفرط،والتصانيف المهذبة..وكان من بحور العلم، له جلالة عجيبة عند المعتزلة) [السير 14/220].
وهناك أمثلة كثيرة غير هذه ، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة سير أعلام النبلاء، يجد بغيته -إن شاء الله-.
ومـنهـج الـذهبي في العدل في وصف الآخرين ، منهج علمي دقيق ، وهو منهج أهل السنة والجماعة في أحكامهم على غيرهم، وهو نابع من قوله تعالى: ((وَلاَ تَـبْـخَـسُـــوا الـنَّـــاسَ أَشْيَاءَهُمْ)) [هود:85] والآيات المشابهة لها.
ولذلك ينبغي لكل من رام الإنصاف أن لا يحيد عن هذا المنهج السوي ، وأن يتقي الله-عز وجل- في وصف غيره ، ويتكلم بعدل وإنصاف.

العبرة بكثرة الفضائل :

فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث ، فمن غلبت فضائله هفواته ، اغتفر له ذلك.
يـقـــول ابـن رجـــب الحـنـبـلـــي : (والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه)
وكلمة ابن رجب بمثابة منهج صحيح في الحكم على الشخص الواحد ، لأن كل إنسان لا يسلم من الخطأ ، ومن قل خطأه وكثر صوابه ، فهو على خير كثير.
ومنهج السلف هو: اعتبار الغالب علـى الـمــرء من الصواب أو الخطأ ، والنظر إليه بعين الإنصاف.
يقول الحافظ الذهبي: (ونحب السنة وأهـلـهـــا، ونـحـــب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة،ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن)(3).
وقال الذهبي في ترجمة ابن حزم : (وصنف في ذلك - نفْي القياس -كتباً كثيرة ، وناظر عليه ، وبسط لسانه وقلمه ، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب ، بل فجج العبارة ، وسب وجدع ، فكان جزاؤه من جنس فعله ، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة ، وهجروها ونفروا منها ، وأحرقت في وقت ، واعتنى بها آخرون من العلماء ، وفتشوها انتقاداً واستفادة ، وأخذاً

ومؤاخذة ، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرصف بالخرز المهين ، فتارة يطربون ، ومرة يعجبون ، ومن تفرده يهزؤون ، وفي الجملة فالكمال عزيز ، وكل يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وكان ينهض بعلوم جمة ، ويجيد النقل ، ويحسن النظم والنثر ، وفيه دين وخير ، ومقاصد جميلة ، ومصنفاته مفيدة ، وقد زهد في الرئاسة ، ولزم منزله مكباً على العلم ، فلا نغلو فيه ، ولا نجفو عنه ، وقد أثنى عليه قبلنا الكبار)(4).
ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة لطيفة: ولكن كثير من الناس من يرى المثالب ، ويعمى عن المناقب ، وفي ذلك يقول الشعبي -رحمه الله- : (والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة ، وأخطأت مرة ، لأعدوا على تلك الواحدة(5).
وقد قيل: كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه.
يمكن أن تعتبر قاعدة مهمة في هذا الباب ، يقول فيها: (العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية)(6).
ومن نفيس كلامه في هذا الباب قوله : (وإنه كثيراً ما يجتمع في الفعل الواحد ، أو في الشخص الواحد الأمران : فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما ، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما،فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره علـى فعل بعض الحسنات السنية البرية ، فهذه طريق المـوازنـة والمعادلة، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان"(7).
(ولا منافـاة بيـن أن يكـون الشخص الواحد يرحم من وجه ، ويعذب ويبغض من وجه آخر)(8).
(ومن سلك طريق الاعتدال، عظـم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات ، فيحمد ويذم، ويثـاب ويعـاقـب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج ، والمعتزلة ، ومن وافقهم)(9).

الهوامش:

1-أخـرجــه أحمد (3/198) ، والترمذي (4/659) ، وابن ماجه (2/1420) ، وانظر "صحيح الجامع" برقم(4515).
2- هو لفظ حديـث أخرجه الدارمي (737-738) ، والدارقطني (1/21-22) وغيرهما ، وقد أفاض ابـن القـيـم في دراسته في تعليقه على "سنن أبي داود" ، انظر عون المعبود (1/106-125) ، وانظر :إرواء الغليل (1/60).
3- انظر سير أعلام النبلاء (20/46).
4-نفس المرجع (18/186-187).

5- نفس المصدر (4/308).
6-انظر منهاج السنة النبوية (8/412).
7- الفتاوى (10/366).
8- الفتاوى (15 / 294).
9- منهاج السنة النبوية (4/543).

تراث

عبث المجهول والمعلوم

محمد عبد الله آل شاكر

كل عمل علمي صورة عن صاحبه، وهـــو الذي يتحمل مسؤولية ما فيه من خطأٍ ، وينسب إليه الفضل فيما أجاد فيه ، كما يتحمل اللوم إن كان ملوماً في عمله أو مقصراً..وهذا يعني أن صاحـب الـعمـل ينـبغي أن يكون معروفاً غير مجهول ؛ إذ لا يؤخذ العلم عن المجاهيل والنـكرات، كـما أن لأصـحاب الـسمـعة الحمـيدة في العلم والدين مكانة في النفوس، تحمل الـقـارئ على الاطـمـئـنـان لما يـقـولـون ولما يصدر عنهم - عندئذ - منزلة لا تعدلها منزلة آخرين.

وكـمـا يصح هذا القول هنا ، يصح أيضاً في التحقيق العلمي للتراث الإسلامي ، إذ ينبغي أن ينسب كل تحقيق لمن قام به ويكون معروفاً بمؤهلاته التي تؤهله للقيام بهذا العمل. ولكن هذه القاعدة لا يلتزم بها بعض المحققين، فتجد على بعض الكتب والرسائل الصغيرة أمثال هذه العبارات:"حققه بعض طلبة العلم"، أو:"جماعة من المحققين "، أو: "فئة من الجامعيين" ، وعلى بعضها أمثال : »كتبها أحد طلبة الشيخ« ، »جمعها أحد طلبة الشيخ«. (وما أدراك ما طلبة الشيخ !!).

ويبحث القارئ حتى يتعرف على هذا "البعض" أو "بعضه" ، أو على هذه"الفئة" مَنْ هُم؟ ومـا هـي مـؤهـلاتـهـم ومكانتهم وتجربتهم التي خولتهم القيام بتحقيق تراثنا؟ ، وما مدى التزامهم بما ينبغي أن يلتزموا به..؟ تبحث ، فلا تجد شيئاً ، لأنك أمام مجهول ، وحُقَّ للناس أن يخافوا دائماً من "المجهول".

وحتى لا أطيل على القارئ ، أجتزئ بمثالين اثنين :

الأول : "المحـرر الـوجـيز فـي تـفسـير الكتاب العزيز" لأبي محمد ، عبد الحق بن عطية الأنـدلـسي ، وهـو كـتاب نال ثناء العلماء ؛ حتى قال أبو حيان الغرناطي : "هو أجلّ من صنف في علم التفسير ، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه مع التحرير".

ويصدر الكتاب عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب العربي ، (ووصل في علمي إلى المجلد الثالث عشر ، وعلى غلافه عبارة : "تحقيق المجلس العلمي بفاس ". فحسب.

وقد يكون أعضاء المجلس العلمي الموقرون معروفين بأسمائهم وأعيانهم وعضويتهم في المجلس نفسه ، ولكن لم لا ينسب العلم والجهد لأهله ، فيعرف مَنْ منهم شارك في التحقيق والجهد؟ (وإن كان هذا التحقيق برمته يحتاج إلى إعادة نظر وتحقيق)

ثم طبع ثمانية أجزاء من الكتاب في "قَطر" بتحقيق وتعليق : الرحالي الفاروقي (رئيس المجمع العلمي بمراكش) ، وعبد الله إبراهيم الأنصاري (مدير الشؤون الدينية في قطر) ، والسيد عبد العال إبراهيم ، وسيد الشافعي صادق. فكان ذلك- فيما يبدو - سبباً لاستخراج مجهول في الطبعة المغربية (وإن كان التحقيق الجديد أيضاً لم يغن شيئاً عن القديم).

المثال الثاني : "تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين" تأليف العلامة الشيخ: محمد جمال الدين القاسمي (رحمه الله). وهو مطبوع أكثر من طبعة ، ثم طبع عام 1394 هـ وعام 1405 هـ وعلى جلده وصفحة عنوانه الداخلية تحت اسم الكتاب والمؤلف هذه العبارة:"راجعه وحقق أحاديثه طائفة من الجامعيين".

من هم هؤلاء الجامعيون؟ أهم طلبة مبتدئون في الجامعة ، أم هم خريجوها؟ أو لعلهم أساتذة جامعيون ؟ ، فكل هؤلاء يصدق عليهم أنهم جامعيون. وفي أي جامعة ؟وبأي كلية جامعية هم؟ أهي كلية الشريعة وأصول الدين مثلاً؟ أم كلية الهندسة بفروعها؟ ، أو كلية فنون جميلة؟ عِلْم ذلك كله عند الله تعالى (ثم عند من يعرفهم).

وهذا المثال الأخير ، يُسْلمنا إلى ملاحظة أخرى عن التحقيق الذي أصبح بمفهوم بعضهم مرادفاً للعبث والتلاعب بالنصوص (المسكينة) :حذفاً وإضافة وتصرفاً. وفي هذه خيانة للأمانة وعدوان على التراث العلمي لسفنا الصالح ، وافتئات على المؤلفين ، وهو داخل ضمن الكذب والزور (1) ، ومجانب للصواب في عملية التحقيق التي تعني :"تقديم النص كما يريده المؤلف " دون أي تحسين أو تعديل أو تصويب(2).

ونأخذ أمثلة على ذلك من "تهذيب موعظة المؤمنين " أولاً ، ثم من غيره ثانياً.

قالت الطائفة من الجامعيين تحت عنوان: "عملنا في هذا الكتاب":

"لقد اعتمدنا هذا المختصر في دراستنا وتحقيقنا ، (وهنا إضافة جديدة وهي الدراسة) وهو مع علو شأن مختصره ، احتوى على العديد من الأحاديث غير الصحيحة ، فحذفناها على الغالب لعدم الفائدة من ذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ولو بالتعليق عليها ، خشيةً من بلبلة المبتدئين ، وحققنا الصحيح من هذه الأحاديث كما هو واجب على كل باحث..واستدركنا على الحافظ

العراقي في الأحاديث التي اكتفى بعزوها إلى كتب "السنن " فقط ، مع أن فيها العديد من الأحاديث غير الصحيحة".
وليت شعري! هل أصبح حذف الأحاديث غير الصحيحة من الكتاب لعدم الفائدة منها ، هل أصبح داخلاً في حدود عملهم الذي قالوا عنه:"أولاً :المراجعة وتحقيق الأحاديث "؟ أو أنه من مقتضيات التحقيق؟ وكيف يحققها وقد حذفها من الكتاب! ولـو كـان عـمـلـهـم الاخـتـصـار أو الـتـهـذيـب أو الحذف ، لكان هناك من يسوغ لهم هذا ويفتي به ، أما وإن الكتاب مطبوع باسمه الذي وضعه المؤلف ، فلا يجوز بعد ذلك هذا التصرف فيه.
وإننا نحمد - صادقين - للمحققين غيرتهم على المبتدئين ، وخشيتهم من "بلبلتهم " ، وأما "الصحيح من هذه الأحاديث " التي حققوها فهو جهد متطوع بعد صحتها (كما قلتم) ، - فإذا كانت صحيحة فما داعي تحقيق صحتها؟
وأما استدراككم على الحافظ العراقي-رحمه الله- فليتكم ضربتم مثلاً واحداً له ، ولست أدري ما أقول في هذا؟ ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه. وغفر الله لي ولكم.
ثم تقول فئة الجامعيين :
"2- وكذلك حذفنا العثرات التي أشار إليها ابن الجوزي ، وقد ذكرنا كلامه في أول هذه المقدمة ، مع أنه أبقى بعضها في "مختصره !"
ومرة ثانية : حذف العثرات (ونسأل الله أن يتجاوز عن عثراتنا) ليس داخلاً في جُبَّة التحقيق ولا في عمامته ، ولا في ثوبه ولا في كُمِّ الثوب ، لا في التحقيق ولا المراجعة. ولا يجيز ذلك أيضاً اضطراركم "للقيام بهذا المشروع نصرة للإسلام ، وتسهيلاً لمهمة الخطباء والمدرسين ، ورغبة في إرشاد المسلمين ، وسعياً لتثقيف أنفسهم بأنفسهم ". (وقلتم: إن الكتاب للمبتدئين الذين تخشون من بلبلتهم بالعثرات ، فكيف لا تخشون عليهم من تثقيف أنفسهم بأنفسهم؟ ، أليسوا بحاجة إلى من يعلمهم ويثقفهم ويربيهم ، أم أن الكتاب بعد جهدكم فيه ، أصبح فيه غَناء لهم؟).
"3- وحذفنا أيضاً من كتاب "موعظة المؤمنين " المسائل المتعلقة بأحكام فقهية عن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج ، كما حذف أكثرها الإمام ابن الجوزي أو المقدسي ، لأنها مستفيضة في كتب مخصصة لها ، وهي موضع خلاف بين
المذاهب".
عجبٌ لا ينقضي من هذه المراجعة والتحقيق ، فإن هذا الذي حذفه الجامعيون من مسائل الكتاب مما لا ينبغي أن يجهله المسلم ، لأنه متعلق بأركان الإسلام ، فمن أول ما ينبغي معرفته بعد الشهادتين والإقرار بهما: الطهارة والصلاة ؛ حتى يؤدي ذلك كله عن علم وفقه.

وهو أيضاً خارج عن طبيعة عمل التحقيق -كما سبق - ، وإن كان ابن الجوزي أو المقدسي حذف أكثرها فلأن ذلك يتسق مع منهجه وعمله وهو الاختصار والتهذيب ، ولا يتسق مع منهجكم الذي زعمتموه. فهذا يختلف عن ذاك. ولئن كان ابن الجوزي قد حذف أكثرها ، لقد أبقى على أقلّها لفائدةٍ؛ تحرمون القراء منها!

وأما التعليل لهذا التصرف فهو عليل ، لأن استفاضة هذه المسائل في الكتب المخصصة لا تبيح لكم حذفها ، وإن كان فليكن تطبيق القاعدة عاماً ، ويحذف من الكتاب كل ما هو مسطور في كتب مخصصة من غير هذه الأحكام.

وما أظن - ولا أي عاقل يظن - أن كل ما هو "موضع خلاف بين المذاهب" لا ينبغي حذفه من الكتب عند التحقيق ، بل إن التحقيق يقتضي إثباته وتحرير محل النزاع فيه، وبيان الصواب مثلاً مع الأدلة - إن اقتضى الأمر - ، ولعلكم تعرفون أن الخلاف في الأمور الفقهية واقع منذ عهد الصحابة ومَنْ بعدهم ، وكتب الحديث -والمصنفات بخاصة- كلها آثار تبين ذلك ويظهر فيها الخلاف ، فهل تحذف أيضاً عند التحقيق؟

ثم يأتى البند رقم (4) في مقدمة المحققين إقراراً آخر بافتئاتهم على المؤلف ، بإثبات وإضافة ما هو مفيد - برأيهم - في صلب الكتاب ، وكان بإمكانهم أن يضيفوا ما يرونه مفيداً في حاشية الكتاب ، قالوا:

"4- وأثبتنا بعض مباحث وأحاديث وأشعار رأيناها مفيدة ، وقد حذفها الشيخ القاسمي".

فماذا لو رأى غيركم من المحققين أن هذا الذي أثبتموه غير مفيد؟ هل يعيد حذفه ثانية كما فعل أولاً الشيخ القاسمي؟ وهو قد فعل ذلك ، لأن عمله تهذيب للكتاب وليس تحقيقاً له وللأحاديث كما زعمتم.

ثم تتابع الطائفة من الجامعيين (بالطبع هي غير الفئة الباغية) فتقول :

"ه - ومن أهم ما قمنا به : أننا ذكرنا بحثاً في الجهاد ، ليأتي الكتاب كاملاً ، فإن الإمام الغزالي لم يتطرق إلى موضوعه على الرغم من خطورته وعظمته...".

وبالتأكيد ليس هذا هو كل ما أضافه "المحققون " إلى الكتاب "المفترى عليه " حتى يكون كاملاً ، وإنما هذا الذي نبهوا عليه في مقدمة التحقيق. فقد أضافوا في ص (186-208) بحثاً عن شمائله-صلى الله عليه وسلم-.

وأهمية الجهاد مما لا يخالف فيها مسلم قط ، لا تبيح إضافته إلى كتاب المؤلف ؛ (لئلا تختلط جهود العلماء والمحققين ؛ فيضيع النسب ، وتهدر الحقوق) ، فيمكن المحققين أن يكتبوا كتاباً عن الجهاد وينشروه بأسمائهم - ويأخذوا أتعابه - ، ويبقى الكتاب كاملاً كما وضعه مؤلفه ، لا كما أراد حضرات المحققين الماسخين للكتب.

فإذا جاوزنا المقدمة التحقيقية هذه إلى الصفحة الثالثة من الكتاب (مقدمة القاسمي -رحمه الله-) نجد تعليقات وتحقيقات غريبة تدعو إلى الاستفهام عن هوية الجامعيين -كما سبق - ؛ ففي متن الكتاب ص 3 جاءت هذه العبارة: ".. ويكون وافياً بحاجاتهم (2) ، آتياً على جميع كمالياتهم.." ، وقد وضع رقم الإحالة (2) فوق كلمة: "بحاجاتهم " ؛ وفي أسفل الصفحة التعليق التالي : " 2- في الأصل:حاجياتهم" (!).

وهذا الذي جعلوه في المتن هو الخطأ بعينه ، والصواب هو ما حذفوه أو أنزلوه مكاناً ومكانةً إلى الحاشية ؛ فإن "الحاجيات " نسبة إلى "الحاجّي " لا إلى "الحاجة" ، وهي متسقة مع السياق بدليل ما بعدها وهو قول القاسمي: "آتياً على جميع كمالياتهم ". ولكن جزى الله العجلة والتبجح كلَّ شرٍّ.

وفي الصفحة التي تليها ، بعد صفحة فارغة ، جاء في الكتاب : ".. وأما الأخبار ؛ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم -: »من يراد (هكذا ، وهو خطأ مطبعي صوابه : يُرِدْ) الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده« مع إحالة رقم (1) ؛ ثم يقول في الحاشية :

"1- ولفظ الحديث كما في البخاري ومسلم :»من يرد الله به خيراً يفقه (كذا) في الدين«، دون زيادة :"ويلهمه رشده ". ومعنى "يفقهه في الدين" : أي: يعلمه القرآن والسنة).

دع عنك كثرة الأخطاء المطبعية التي تدل على مبلغ اهتمامهم وتحقيقهم للكتاب ، فأمرها قد يكون سهلاً ، ولكن عد إلى التخريج للحديث ، حيث تكرمت اللجنة بتخريج لفظ لم يذكره المؤلف ، وتركت ما نصَّ عليه ، ولم تشر إلى الزيادة أين هي في غير الصحيحين؟ إذ فيهما أصل الحديث فحسب دون الزيادة. وهل هناك من رواها بهذا السياق؟

(وللفائدة فحسب ، وعلى عجل ، قال العراقي في "تخريج أحاديث الأحياء" (1/21) طبعة دار العاصمة بالرياض : "وأما قوله : ويلهمه رشده ، فعند الطبراني في الكبير". وقال الزبيدي : "ورواه مع هذه الزيادة أيضاً: أبو نعيم في "الحلية" عن ابن مسعود ، وسنده حسن. وفي "الصحيحين " و"مسند أحمد" بعد قوله:"في الدين " زيادة :"إنما أنا قاسم ، والله يعطي ، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله".(المصدر نفسه).

فكيف بعد هذا ، لو قلبنا بعض الصفحات لنتعرف على قيمة ما فيه من تعليقات وتحقيقات ، ولا يفوتنك أيضاً: أنه قد يأتي ناشرٌ آخر فيحذف مقدمة المحققين -كما يفعله كثير منهم اليوم وسيأتي أمثلة على هذا - ، وعندئذ لا يمكن تمييز أصل الكتاب الذي طالته يد التحقيق والمراجعة والدراسة المزعومة.

وإذا كان ذلك مثالاً على عبث المجهولين ، فإن أمثلة أخرى تتمثل في تغيير بعض العبارات في النصوص المحققة ، قام بها بعض أبناء هذا التراث ، ولم يكن عندهم ما يمنع من ذكر أسمائهم (إذ الحقوق محفوظة لأصحابها).
فأحدهم يبيح لنفسه حذف بعض الكلمات مثل صيغة الدعاء والترحم والترضي عن بعض العلماء ، بسبب مخالفة فقهية ، أو بسبب عداوة أو غباوة ، وكأنه لا يجيز أن يدعو بالرحمة للإمام الشافعي مثلاً ، أو لأبي حـنيفة - رحمهما الله تعالى - ؛ لأنه يخالفهم في شيء من الرأي. وأظن أن الـتـصـريـح هــنـا باسم من يفعل ذلك ليس فيه شيء من المصلحة الآن ، فلندعُ له بالهداية.
وقـد يـحــذف نــص من كتاب مثلاً في باب معين لضعف رأي أو خطئه ، فمثلاً في طبعة الرياض لكتاب "الأذكــار" لـلإمـــام الـنـووي - تحقيق الشيخ الأرناؤوط - حذفت حكاية العتبي في الأعرابي الذي جاء إلى قبر النبي-صلى الله عليه وسلم -ودعا. وهي حكاية بلا إسناد، ويرويها البيهقي في "الشُّعب " بإسناد مظلم، وهـي مــوجـــودة فـي ســائر طبعات "الأذكار" وفي كتب الفقه "كالمغني " وغيره ، فليس لأحد الحق في حذفها بحجة التحقيق أو لأنها حكاية ضعيفة ، وإنما يعلق عليها في الحاشية ويبيِّن الصواب والحق.
ثـم قــد عـلـمــت أن إسقاط هذه القصة إنما كان تصرفاً من مراقبة المطبوعات في دار الإفتاء بالرياض ، وليس من المحقق نفسه. وهذه أعجب!
وسبقت الإشارة أيضاً إلى تصرف الأستاذ أحمد عطا ، واجتهاداته الشخصية في تغيير نص كتاب "العقل " لـلـحــارث بن أسد. وهذا كله يتنافى مع الأمانة العلمية ، ومع الدقة التي يتصف بها علماؤنا في آداب تصحيح النص واحترامه، حتى قال العلموي : "إنه لا يجوز أن يصلح كتاب غيره بغير إذن صاحبه "، ويـعـجـب مـــن عمل يشبه عمل محققينا الذين سبقت الإشارة إليهم فيقول : "وقد تجاسر بعضهم فغيَّر ما الصواب إبقاؤه " (3).

الهوامش:

1- اقرأ ما كتبه الشيخ الصافي في كتابه:"أخطار على المراجع العلمية" ص 57-59 ، طبع دار الفاروق ، بالطائف.
2- راجـع عـلـى ســبـيـل المثال"محاضرات في تحقيق النصوص"، للدكتور أحمد الخراط، ص8.
3- انظر: مناهج البحث عند علماء المسلمين ، تأليف روزنتال ص 60 وما بعدها.

من واقع الحضارة الغربية
(1)
السفر إلى المشرق

أبو البراء عبد العزيز بن محمد
(سـوزان ليـليث) طـفـلة أمـريـكية في الثانية عشرة من العمر ، تقول : إنني لا أرى والدي كثيراً ، وهـو مـرهـق باسـتمـرار ، وكـذلك أمي ، عندما أبلغ الثامنة عشرة أريد أن أهاجر وحـيـدة إلى الهـند.. ، المـدرِّسـة قـالـت لي :إن البيوت هناك كثيرة ، وإن الناس يجلسون فـي الطـرقـات ويتحادثون ، المدرسة قالت لي أيضاً : إن الهند يقدسون البقرة ، وأنا لم أر بقرة في حـياتـي إلا على شاشة التلفزيون أو في الكتب.. ، لا أريد أن أبقى هنا.. ، لا أريد أن يتجعد وجهي مثل أمي ، إنني أنوي السفر إلى المشرق...

(2)
الوحدة القاتلة

(بيتو لاهايت) عجوز في الخامسة والسبعين من أصل إرلندي ، وتعيش منذ خمسين عاماً في مدينة (أوتاوا) الكندية ، تقول :
إنني أعيش وحيدة.. أولادي وأحفادي يعيشون في مونتريال ، أتلقى منهم الرسائل بانتظام ، وأشعر أن عـمـلـية تـناول الـرسـائل باتت (ميكانيكية) ، لأنها خالية من الود الحقيقي.. ، هذا ليس ذنبهم. . ، أعود ستين عاماً إلى الوراء ، عندما كانت حياتنا أشبه بالمهرجان الدائم ، الآن تبدل كل شيء ، ويبدو أن الناس كلهم يسيرون "في جنازة هم الأموات فيها"

(3)
العائلة والموت

["أنـقـذوا العـائـلة مـن الموت " هذا النداء (الدراماتيكي) أطلقه العالم الاجتماعي الفرنسي (برنارد أوديل) ، وهو النداء الثالث الذي يطلقه خلال الثلاثين سنة الماضية.
كان الأول : "أنقذوا العائلة من الاستلاب "
وكان الثاني : "أنقذوا العائلة من التفتت "
وهو يطلق النداء الثـالـث ، لأن المـعـطيـات التي توفرت لديه حول وضع العائلة في الغرب تـثـبت جميعها أنه قد حان الوقت لكي تقرع أجراس الإنذار في كل بيت من نصف الكرة الغربي].

(4)
القرآن أقوى من فرنسا

[في ذكرى مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر ، وقف الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول : "يـجـب أن نـزيـل الـقرآن العربي من وجودهم..ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم ؛ حتى ننتصر عليهم "
وبعد ذلك بسنوات قلائل :

قـامـت فـرنـسا - من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر - بتجربة عملية ؛ فـتم انـتـقاء عـشـرة فـتـيات مسلمات جزائريات ، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية ، ولقنتهن الثـقـافة الفرنسية ، وعلمتهن اللغة الفرنسية ، فأصبحن كالفرنسيات تماماً.
وبـعـد أحـد عـشـر عـاماً مـن الجهود ، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون...
ولمـا ابـتدأت الحـفـلـة ، فـوجـئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري..
فثارت ثائرة الصحف الفرنسية ، وتساءلت : "ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما؟!
أجـاب "لاكـوسـت " وزير المسـتـعمـرات الـفرنـسي :"ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟"

خواطر في الدعوة

من سنن الاجتماع والجماعات

محمد العبدة

عـنـدمـا يـبرز عـلم أو داعية أو زعيم، ويشتهر أمره، تحوطه عادة جموع كثيرة من الناس: مـنهـم المـخلصون وهمهم طلب العلم أو المشورة أو المساعدة في أمر الدعوة ، ومنهم المتملقون بالـتقـرب مـنـه والـذين يتظاهرون بالسؤال وحب الدعوة ، ومنهم الفضوليون الذين يحبون الـشهـرة بالـسـير فـي ركاب هذا أو ذاك ، وأخلاط من الناس تستمع ولكن الفائدة المرجوة قـلـيـلة ، وفـي غمرة حرص الداعية أو القائد على نشر هذا الخير وتكثير سواد المسلمين قد يبتعد عن المقربين المخلصين من غير تعمد منه لذلك ، وهذا مما يكسر خواطرهم ، ويضعف الفـائـدة المـرجـوة مـن الـتجـمـع والتـنـاصر ، وفي العادة فإن المخلصين يبتعدون عن التزلف ويـتحـاشـون القـرب الدائم ، فإذا غلبهم العامة أو المتملقون فقد وقعت المصيبة ، وقد كان الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف مدركاً لهذه الناحية عارفاً بأمور الناس والزعامة، عندما نصـح عـمر بن الخطاب -رضي الله عنه-" بألا يتكلم في (منى) أثناء الحج عن أمور تخص الخلافة والاستخلاف ، وكان عمر -رضي الله عنه- قد سمع قولة قائل : "لو قد مـات عـمـر لقد بايعت فلاناً " ، يظن أن البيعة بهذه السهولة ، يبايع من شاء دون مشورة لأهل الحل والعقد ، وكأنه ظن أن خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- كانت هكذا ، فغضب عمر ثم قال : "إني -إن شاء الله- لقائم العشية في الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يـغصـبوهم أمورهم ، قال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين ؛ لا تفعل ؛ فإن

الموسم يجمع رعاع النـاس وغـوغـاءهم ، فإنهم هـم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخـشـى أن لا يـعـوها، وأن لا يضعوهـا على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة ؛ فإنها دار الهـجـرة والـسـنـة، فـتـخـلـص بأهـل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً"، واستجاب عمر -رضي الله عنه- لنصيحة عبد الرحمن بن عوف وقام هذا المقام في المدينة.

ونـقـول للـدعـاة الـذين يـشـار إليهم بالبنان: لا يجوز أن يغلب المتملقون والمتطفلون على أوقاتكم، ويجب أن يقرب المخلصون من تلامذتكم ، وهذا من آداب القيادة وسنن الاجتماع كما قال تعالى على لسان نوح- عليه السلام- :((ومَا أَنَا بِطَارِدِ الَذِينَ آمَنُوا)) ، يقول الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية:"هذا مبني على سنن الاجتماع في الزعامة والعصبية وتأليف الجماعات، وكون ثباتها وظفرها رهناً بإيمان الجماعة التي تألفت لأجله ، وولاية بعضهم لبعض بصفة يكون فيها الزعيم خير قدوة للأفراد بتفضيله أدنى المؤمنين فيهم على أعـظـم الكبراء من خصومهم (1)؛ فهل يعي هذه النصيحة الذين يتصدون للناس ولا ينسون الدعاة الصادقين الذين لا يتزلفون للزعيم.

الهوامش:

1 - المنار (12 / 241).

حديث عن المنهج

د. طارق عبد الحليم

الحديث "حول" منهج أهل السنة والجماعة حديث تطمئن إليه قلوب المؤمنين وتنشرح له صدورهم ؛ فهذا المنهج هو طريقهم السوي إلى بر الأمان في خضم تلك البدع والأهواء والفتن المتلاطمة التي يجر بعضها بعضاً للقضاء على زمرة أهل الحق.

لـكـن الـحـديـث "حـول" المـنـهج أمر ، والحديث "عن " المنهج أمر آخر... فالحديث حول المـنـهـج، الذي اطمأنت به نفوس المؤمنين في السنوات الماضية قام على الدعوة للرجوع إلى هذا المـنـهـج الـقـديـم وتحبيب الناس فيه ، والتركيز على أنه لا منهج سوي سواه ، ولا منجى مما يحيق من فتن إلا به .. فهو المنهج الذي أسسه محمد-صلى الله عليه وسلم-، وهو الذي سار عليه أعلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من أهل الـسـنـة والجماعة إلى يومنا هذا ، ما انحرف عنه أحد إلا دخلته بدعة وفارقته سُنة ، وبعد عن القصد ، وقرب مما ليس فيه مصلحة.

أما الـحـديـث "عن" المـنـهـج فـهـو يعني: بيان أسس ذلك المنهج .. تقعيد قواعده وتفريع فروعه.. بيان مبادئه وتفصيلاته ، وشرح كلياته وجزئياته .. وهو ما يحتاجه مسلمو اليوم ممن اطمأنوا إلى ضرورة اتباع هذا المنهج والسير على خطاه..

إن "منهج" أهل السنة والجماعة ليس هو "فتاوى" أهل السنة والجماعة أو "مذهب " أهل السنة والجماعة الفقهي أو الحركي.. إنه "أسلوب" في النظر إلى الأمور الثلاثة التي تشكل مسار الدنيا ، والتي يختلف عليها الناس في كل آن ومكان: الأفكار، والأشخاص، والأحداث.

المنهج هو: "طريقة" في البحث والتحري عن الحقيقة - أو بالأحرى: عن الحق - تضيِّق نطاق الخلاف حول تلك الأمور الثلاثة التي ما فتىء الخلاف حولها يهدد كيان المسلمين ويزعزع بنيانهم ، وأهم من ذلك أنه الوسيلة التي تجعل النية والقول والعمل موافقاً لسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ، أو قل إن شئت : "هو تلك الأسس والقواعد الشرعية والعقلية التي يدرب عليها عقل المسلم ؛ فتكون قالباً تُصاغ من خلاله حركاته وسكناته .. أقواله وأفعاله.. إقدامه وإحجامه في كافة شؤون حياته".

إذن ، ما هو ذلك المنهج أو الأسلوب أو الطريقة التي ما زلنا نتحدث عنها وندعو إليها؟

سؤال يحتاج أن تتجرد له عزائم الرجال ، وتتفرغ له أوقاتهم ، وتشحذ عقولهم لوضع تفاصيل ذلك المنهج وحدِّ حدوده ورسم معالمه.

أنواع المناهج :

نوعان من المناهج يتبعها الباحثون في المجالات العلمية أو النظرية ، تجدر الإشارة إليها كأحد المعالم الهادية إلى تحديد نوعية المنهج المراد؛ وهما:

أولاً: تلك المناهج التي توضع تفصيلاتها وتحدد معالمها قبل البحث المقصود إليه أو المراد إنشاؤه ، ويطلق عليها "أسلوب البحث" إن تعلقت بمبحث علمي ، أو "خطة البحث" إن تعلقت بأمر عملي فيزيقي ، أو "خطوات البحث" إن تعلقت بأمر عمليّ في مجال الأعمال والتجارة وغيرها. هذه المناهج غالباً ما تكون مقصورة على البحث الذي وضعت لأجله.

ثانياً: تلك المناهج التي تستشف معالمها وتستنبط مبادئها من واقع حالٍ وظروف قائمة وأحداث واقعة - سواء في الماضي أو الحاضر - لتكون هيكلاً في البحث وطريقة في النظر ؛ تتبع فيما يستحدث من وقائع أو ظروف أو أحداث في المستقبل ، وهو ما نرمي إليه في الحديث عن منهج أهل السنة والجماعة. وأقرب ما وجدناه من معنى يعبر عن ذلك في معجم المباحث الغربية هو كلمة SCEME.

هذا النوع من المناهج هو ما استعمله "ديكارت" في كتيبه الشهير الموسوم بـ :

"مقال في المنهج"، وهو الذي نبتت أفكاره من بذور الفكر الذي ساد تلك الحقبة من الزمن، والذي قامت على أساس هدم الفكر الديني الكاثوليكي، وفصل الدين عن السياسة، والوقوف في وجه طغيان الكنيسة وسيطرتها على مصائر الناس ، مما أشاع فكر "التحرر" وضرورة "الشك "

في المسلمات السائدة. ذلك المـنـهـج الـديـكارتي هو الذي سيطر فمما بعد على مجالات الفكر النظري والعملي الغربي ، وأنشأ قواعد الفكر الغربي الحديث.

بين المنهج والقانون :

ومـمـا يجب أن نلفت إليه النظر هو: ضرورة التفريق بين القانون أو النظرية وبين المنهج، إذ أن الخلط بينهما يؤدي إلى أخطاء كثيرة في البحث والتطبيق جميعاً.

فالـقـانون أو النظرية مع اختلافهما في درجة التوثيق هما قالب تفسر فيه أحداث واقـعة، سـواء في الماضي أو الـحاضـر ، تحت ظروف محددة خاصة ، وتنطبق أوصافهما وتـتـحقـق نـتائـجـهـما كل مـرة تـتحقـق فـيها تلك الظروف أو الشروط ، كما في النظريات والقوانين العلمية بشكل عام.

فهي قـوالـب كـلـيـة اسـتـنـبـطـت مـن جـزئـيـاتها(1) من جهة، ثم فسرت بها الجزئيات المستحدثة ، بعد ذلك من جهة أخرى.

أما المنهج فهو وإن كان قالباً أو هيكلاً للبحث يـقـوم على أحـداث ووقائع كما ذكرنا ، إلا أنه أسبق في الوجود الذهني وأعلى في الدرجة من الكليات والقوانين ؛إذ على أساس منه وفي حدوده ومن خلاله تستنبط تلك الكليات والقوانين التي تفسر من خلالها الوقائع وتقدم الحلول والنتائج ، أو الأحكام الشرعية والفتاوى في التعبير الشرعي.

فـهـو إذن مـصـدر الكليات والـقـوانـيـن، لا بأعـيانها وذواتها، وإنما بذلك التحديد الذي تـضـعـه فـرضـيـاته ومبادئه لتحكم به مسار الفكر واتجاه البحث الموصل إلى تلك القوانين والكليات.

ولنضرب مثالاً على ما نقول :

فإن القاعدة الكلية - أو القانون إن شئت - "رفع الضرر" قد استنبطت من جزئيات عديدة تكررت في مواضع عديدة من الشريعة مؤدية لذلك المعنى.

فقد قال تعالى:((لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِهَا)) ، وقال :((ولا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا)) ، وقال-صلى الله عليه وسلم -في الحديث :"الجار أولى بالشفعة" أي: أن الشريك أو الجار أولى بالـشـراء من الـغـريـب عند رغبة البيع ، حتى لا يأتي من يضر المالك في ملكه أو جواره.

كذلك الرد بالعيب في البيوع ، وحكم الحجر على السفيه ، وشرع القصاص ؛ فإن فيه رفع الضرر عن العباد بكف أذى المعتدين. بذلك جاء في الحديث :"لا ضرر ولا ضرار"«، وهو مروي في "الموطأ" مرسلاً ، كذلك أخرجه الحاكم في "المستدرك" والبيهقي والدارقطني من حديث أبي سعيد الخدري ، وابن ماجه من حديث ابن عباس ، وهو وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح مقرر في أماكن عديدة من الشريعة.

كل ما سبق هي جزئيات أدت إلى استنباط قانون عام كلي هو "رفع الضرر".

والمنهج الذي أدى إلى استنباط تلك القاعدة من جزئياتها ففرضياته المتعلقة بها عديدة ، منها العملية ومنها الشرعية ، نذكر منها:
فرضية عقلية : أن الوقائع المتكررة في معنى واحد تؤكد ذلك المعنى وتقرره.
فرضية شرعية :
*" أن الأحكام الشرعية إنما قصد بها جلب مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم.
* أن مقصود الشرع هو تحقيق "أفضل" الحلول الممكنة حسب الواقع لا الخيال.
* تساوي الناس في حق تحصيل المنفعة ودفع المضرة.

وماذا بعد؟

في إطار ما قدمنا يحق للقارئ أن يتساءل: إذن ما هي مصادر منهج أهل السنة والجماعة؟، ما هي مـعـالـمـه ومبادئه؟ وما هي حدوده؟ ثم ما هي قواعده وتفاصيله؟ أيطابق منهج أهل السنة في النظر والاسـتـدلال مـنهجهم الحركي أم يغايره في بعض تفصيلاته؟ إلى آخر تلك التساؤلات التي آن لها أن تجد أُذُناً صاغية وعقولاً واعية.
ولأن الغرض الأساسي من حديثنا هذا عن المنهج هو إلى شحذ الفكر ، وطرح السؤال أكـثـر منه إلى إملاء الفروض وتقرير الجـواب ، فإنـنا نكتفي بهذا القدر ، وندعو إلى المشاركـة في وضـع تلك الـمـعـالم والتفصيلات. فقد آن لنا ذلك ، والمسلمون بحاجة شديدة إلى مثل هذا العمل ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

1- ونعني بالجزئيات : الوقائع والأحداث التفصيلية التي تشكل بمجموعها قانوناً عاماً أو كلية كما يعبر عنها في أصول الفقه.

انتشار الإسلام

التعليم في أفريقيا

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

انـتـشـرت الـصـحـوة الإسـلامـية بفضل الله تعالى في أقطار عديدة من الأرض شرقاً وغرباً، وشمل هـذا الانـتـشـار قارة إفريقيا السوداء .. إلا أنَّ حظها من هذه الصحوة لم يكن كغيرها لـظـروف فـكـريـة واجـتماعية وبيئية تعيشها هذه القارة ، لكن العقد الأخير أظهر انتشاراً سريعاً للوعي الإسلامي فيها ؛ مما يبشر بخير كثير -إن شاء الله-.. وإن من أبرز مجالات الدعوة الإسلامية في تلك القارة :مدارس التعليم الإسلامي بمراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية.. إذ أن الجمعيات الإسلامية اهتمت بهذا الجانب أكثر من غيره لأسباب كثيرة، مـن أهـمـهـا: انـتـشار الجهل الشديد في تلك القارة ، وكانت بداية تلك المدارس رد فعل للمدارس التنصيرية أو العلمانية ، التي

تسعى لمسخ الهوية الإسلامية في نفوس الناس. وقد نجحت بعض المدارس الإسلامية في حماية بعض شباب الأمة من الوقوع في براثن التغريب والتنصير.

وقد قمت بزيارة لمدارس عديدة في دولتي السنغال وجمهورية غامـبيا في الغرب الإفريقي، ووجـدت أن المدارس الإسلامية الجادة قـلـيـلـة جداً ، ومع ذلك فهي لا تخلو من عيوب كـبـيـرة ، ولمست بعض العوائق التي تؤثر سلباً على مسيرة التعليم في تلك المدارس ، ومن أهمها :

أولاً : المناهج الدراسية :

تـعـتـمـد المـدارس الإسلامية - في أغلب الأحوال - على المناهج المقررة في الدول العربية، وخـاصـة مـقـررات المـمـلـكة العربية السعودية.. ومن هنا تبدأ المشكلة ، إذ أن تلك المناهج ألفت لتتناسب مع العقلية العربية والخلفية الفكرية الاجتماعية للطلاب، وصيغت بأسلوب يـتـلاءم مـع أنـاس يـعـرفـون الـعـربـية قراءة وفهماً .. ومن ثَم فإن نقل هذه الكتب إلى بيئة اجتماعية وفكرية مختلفة تماماً سـوف يـؤثـر حتماً على مستوى التعليم ، خاصة أن بعض تلك الكتب ألفت لمناقشة بعض الأوضاع التي تـنـاسب المكان المقرر فيه..ومن الطريف أنني دخلت أحد الفصول الدراسية للمرحلة الإعدادية ورأيت المدرس يشرح لتلاميذه تضاريس دولة الإمارات العربية..!

وفي فـصـل آخـر: رأيـت أحـد المـدرسين يُعلِّم تلاميذه مسألة التعصيب في علم المواريث من كتاب مقرر في المعاهد العلمية السعودية.. مع أني أجزم بأن كثيراً من الطلاب لم يتعلم في تلك المرحلة أساسيات العبادات والمعاملات..!

وأحياناً تجد في المدرسة الواحدة بل في الفصل الواحد منهجاً من وزارة المعارف السعودية، ومنهجاً آخر من مناهج المعاهد العلمية، وثالثاً من الأزهر، ورابعاً من الكويت..وهكذا لينتج خليطاً غير متجانس من المقررات المبعثرة التي قد لا يربـطـها رابط .. مع أن بعض المدارس قـد تـعـتـمـد بـعـض الكـتـب المنهجية التي لا تخلو من انحرافات عقدية بدعية لأنها هي المتوفرة لديهم!! هذا إذا توفرت النسخ للطلاب، حيث تعاني معظم المدارس الإسلامية من ندرة الكتب المقررة التي لا توجد إلا في يد المدرس ، ومعه عدد قليل من الطلاب ، وأذكر أني رأيت في إحدى المدارس السنغالية كتاب التفسير في يد أحد المعلمين من مقررات وزارة المعارف السعودية المطبوعة في عام 1384 هـ!

وهـذا الـتـشـتت في المناهج المتعلقة بالعلوم الإسلامية واللغة العربية ، ولو انتقلنا إلى العلوم التجريبية والتكنولوجية لوجدنا الكثير من المضحكات والمبكيات ، إذ أن كثيراً من المدارس الإسلامية لا تهتم بتدريس مواد العلوم والرياضيات، وإن درست فهي تدرس بشكل بدائي لا يكاد يؤثر تأثيراً بيِّنا في

المستوى العلمي للطلاب.. ولهذا فالغالب أن المدارس الإسلامية غير معترف بها حكومياً. بمعنى: أن المتخرج من المدارس الإعدادية الإسلامية لا يستطيع أن يلتحق بالمدارس الحكومية الثانوية ، وعلى ذلك فقس في بقية المراحل.
بل إن المتخرج من المدارس الإسلامية لا يُقبل للعمل في القطاعات الحكومية المختلفة، لأنه لم يدرس اللغة الرسمية للبلد، ولم يتعلم الثقافة العصرية ، فأصبح الأطباء والمهندسون والإعلاميون والاقتصاديون من غير المسلمين ، أو ممن تربى في المدارس العلمانية أو التنصيرية.
وهذا الأمر أوجد هوَّة واسعة بين تلك المدارس وبين القطاعات الرسمية ، مما جعل المسلمين المتميزين بعيدين تماماً عن قيادة المجتمع من الناحيتين الفكرية والإدارية. من أجل ذلك أصبحت المدارس الإسلامية في أغلب الأحوال وقفاً على الفقراء والمساكين الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية ، فيلتحقون بالمدارس الإسلامية لأن الرسوم منخفضة ميسورة. أو يلتحق بهذه المدارس الطلاب الذين لم يستطيعوا الاستمرار في المدارس الحكومية لضعف مستواهم العلمي.
وهكذا يدور الطلاب في حلقة مفرغة، يأتي الطالب من الحقل أو المرعى ليدرس، ثم يتخرج ، ليعود مرة أخرى للحقل أو المرعى .. وإن يسر الله له منحة إلى بلد عربي وأخذ الشهادة الجامعية ؛ رجع لمدرسته - إن استطاع - ليدرِّس فيها جيلاً آخر ، أو عاد كغيره للحقل أو السوق ، ليعمل في التجارة الخفيفة.
وهذه المشكلة دفعت بعض الجمعيات الإسلامية إلى افتتاح معاهد للتدريب المهني، لتدريب الشباب على النجارة والحدادة وأعمال الكهرباء .. وهذا أمر جيد بلا شك، لكنه يبقي المسلمين بعيداً عن معترك القيادة والتوجيه للمجتمع ، فلا أظن أنَّ المقصود فقط هو تأمين لقمة العيش فحسب - وإن كان ذلك مطلوباً - بل المقصود: قيادة المجتمع وتوجيهه الوجهة الإسلامية المتكاملة.

ثانياً: المدرسون :

تعاني المدارس الإسلامية في إفريقيا من قلة المدرسين الأكفاء تربوياً وعلمياً.. ولابد أن يظهر أثر هذا الضعف على مستوى الطلاب. فبعض المدارس الإسلامية تعتمد على مدرسين يحملون الشهادة الإعدادية لتدريس الطلاب في المرحلة الابتدائية ، ومدرسين يحملون الشهادة الثانوية للتدريس في المرحلة الإعدادية .. وهم يفعلون ذلك لقلة المدرسين المتخصصين، ولأن أولئك أقل تكلفة من الناحية المالية ، وعلى أحسن الأحوال فهم يعتمدون على خريجي الجامعات العربية لتدريس جميع المواد لجميع المراحل. حتى أن بعض المدرسين المتخرجين من الجامعات الشرعية قد يكلفون بتدريس مادتي الرياضيات والعلوم.

ونتيجة لضعف المستوى العلمي للمدرسين أصبحوا يهتمون بتحفيظ الطلاب تحفيظاً مجرداً ولا يهتمون بتاتاً بالمحتوى العلمي الشرعي أو التجريبي..وإذا قرنت بين مشكلة المناهج الدراسية وعجز المدرسين عن توصيل تلك المناهج على ما فيها من العيوب..فلك أن تتصور مدى الضعف العلمي والتردي الفكري الذي يصيب الطلاب على وجه العموم.
ويـتـبـع ذلك الـقـصـور الإداري والـتنظيمي في كثير من تلك المدارس ، فكثير منها يفـتـقـد التخطيط والدراسة والتنظيم.

ثالثاً: التميُّز :

التميز في المدارس الإسلامية ظاهر والحمد لله إذا قورنت بنظيراتها من المدارس الحكومية أو التنصيرية ، لكن يظهر هناك قصور في عدة جوانب ، أذكر منها:

1- الاختلاط : الاخـتـلاط في الـدول الإفـريـقـيـة سمة طبيعية لتلك المجتمعات ، بسبب الخلفية الاجتماعية والظروف الاستعمارية والتغريبية التي مرت عليها. والعجيب أن معظم المدارس الإسلامية - إن لم تكن كلها - لم تسلم من ذلك الداء، ولا أعني المدارس الصوفية أو غيرها.. بل أعني: المدارس ذات الاتجاهات الفكرية الجيدة.. صحيح أن بعض المدارس تـلـزم الـطالبات بما يسمى بالحجاب الإسلامي .. وصحـيـح أن الطالبات يوضعن في طرف والـطـلاب في طـرف آخـر. إلا أن الاخـتـلاط مـتحقـقٌ قـطـعاً .. وتكمن الخطورة في المرحلة الإعدادية والثانوية.
وقـد لمـسـت مـن حـيـث الجملة :قلة اهتمام من الطالبات بالحجاب، وضعف متابعة من المدرسين لهذه القضية. وقد يحتج القائمين على تلك بحجج منها:
أ- أنهم لا يستطيعون بناء مدارس مستقلة للنساء لضيق ذات اليد.
ب - حتى لو تم بناء مدارس خاصة للنساء ، فيصعب عليهم توفير معلمات قديرات ، ولهذا قد يضطرون إلى الاستعانة بالرجال.. وهذه أشد.
والقائمون على تلك المدارس يعلمون جيداً أنهم قادرون على تجاوز هذه العقبات لو كانوا جادين في طرح المشكلة والاهتمام بها.

2- تعتمد المدارس الإسلامية على النظام الحكومي في بداية وانتهاء العلم الرسمي.. وبسبب الخلفية الاستعمارية اعتمدت الدولة يومي السبت والأحد عطلة رسمية ، وتبعتها على ذلك المدارس الإسلامية في السنغال، مع أنها غير ملزمة إدارياً بذلك..ولا أظن أن هذه الـمـسـألـة هـيـنة فيما قد يبدو، حيث إن في ذلك تذويباً لقضية الولاء والبراء، وتهاوناً في مخالفة النصارى.
ومع تلك الملاحظات إلا أن المدارس الإسلامية تقدم جهداً مباركاً في توعية الناس وتعليمهم أمور دينهم ، وتحميهم من حبائل المنصرين وشراكهم.
ولتجاوز تلك العقبات ؛ أطرح هذه التوصيات :

أولاً: إعداد مـنـاهـج جـديـدة للعلوم الشرعية وتعليم اللغة العربية ، تتناسب مع خلفيات بلادهم الفكرية والاجتماعية ، لنعالج المشكلات الإسلامية والحياتية التي يعاني منها أهل تلك المنطقة ، وتحتاج هذه المـنـاهـج إلى دراسـات واعية ومتعددة تخضع لتجارب ميدانية متزنة ، وبذلك نضمن نشر اللغة العربية وتعـمـيـق الوعي الشرعي بين الطلاب ، بالإضافة إلى تحصينهم من شبهات النصارى والقاديانيين.

وأقترح أن تكون هذه المناهج من المراحل الأولى ، ثم ينتقل بالطلاب تدريجياً من مرحلة إلى أخرى ، مع التقويم المستمر لكل مرحلة تربوياً وعلمياً ولغوياً.

ثانياً: اعتماد المناهج الحكومية الأخرى في الريـاضـيـات والعلوم وغيرها ، وتدرس باللغة الرسمية للبلد ، وبذلك نضمن التواصل بين المـدارس الإسـلامـيـة والمجـتـمع من حـولهم، وبهذا نيسر للطلاب المسلمين المتميزين الدخول في الجامعات التكنولوجية، ليكون لهم دور في الطب والهندسة ، وغيرها من المجالات التي توجه البلد وتدير دفته.

ثالثاً: محاولة تشجيع وتبني الطلاب المسلمين المتميزين الذين تيسر لهم الدخول في جامعة داكار لدراسة العلوم التجريبية الحديثة ، وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية اللازمة ، وتعليمهم اللغة العربية قراءة وكتابة.

رابعاً: إعداد دورات مستمرة لتدريب المعلمين وتثقيفهم في شتى مجالات المعرفة العلمية والتربوية القادرة على الإنتاج البنَّاء في هذا المجال.

ويتبع ذلك إعداد دورات مستمرة للإداريين لنضمن حسن الإدارة والتنسيق والتنظيم.

عقيدة

من لهذه الوثنية المتعددة ؟

الشيخ/ إسماعيل بن سعد بن عتيق

"من المعلوم من الدين بالضرورة :أن تحقيق كلمة التوحيد لا يتم بمجرد الإيمان بالله .. بل لابد مع ذلك من الكفر بالطواغيت و التبرؤ منها ..

وهذا المقال يعالج جانباً مما يـقـع فيه كثير من المسلمين اليوم، مما يناقض هذه البديهية .. و"الـبـيـان" وهي تـفـسـح المجال للكشف عن هذا الجانب انطلاقاً من منهجها لتتطلع إلى علماء هذه الأمة ، ومن نفس المنـطـلـق أن يكشفوا زيف الطواغيت الأخرى التي غرق الناس في عبادتها..كمن يشرع ويحكم بـخـلاف حكم الله ويطيعه الناس في ذلك .. وكمن يحلل ما حرم الله ، ويحرم ما أحل الله ، وكالأهواء والأفكار التي سادت أذهان الناس و اتخذوها موجهاً ودليلاً لتصوراتهم في الكون و الحياة والإنسان..والحسن والقبيح،

والحلال والحرام .. وغير ذلك من أمثال هذه القضايا الخطيرة التي تهز العقيدة من أساسها". (البيـــان) .
كتب الله لي أن أزور كثيراً من عواصم العالم الإسلامي ، ورأيت في كل صقع من أصقاعه من يتهافت على تلك الأوثان حباً وتعظيماً وخشيةً وإنابة وتضرعاً وافتقاراً ، ولا حرج في التمثيل وذكر بعض أمثلة لتلك الدول التي تبنت الإسلام شعاراً لا عقيدة ، ومع الأسف فهي محسوبة على الإسلام!! والله المستعان. وأترك أسماء المدن لفطنة القارئ ليستنتج مواقع هذه الأوثان ومواطنها.
1- قبر مزعوم للحسين ، يحج له الناس ويتقربون إليه بالنذر والقربات ، وتجاوز ذلك إلى الطواف به والاستشفاء ، وطلب قضاء الحاجات عند الملمات.
2- السيد البدوي ، له مواسم في السنة أشبه بالحج الأكبر ، يقصده الناس من خارج البلاد وداخلها ، وسُنة وشيعة ، وهذان نموذجان في دولة واحدة من أقدم الدول العربية والإسلامية في التعليم النظامي ، وفيها أكبر مؤسسة تعليمية نظامية منذ القرن الثالث الهجري ، والتي كان لدعاتها وعلمائها الأثر الطيب في نشر الإسلام والدعوة إليه ، ولكن كما قيل :

كالعيس في البيداء يقتلها الظما الماء فوق ظهورها محمول

3- جـلال الـديـن الرومـي الذي كتب على قبره ومزاره: صالح للأديان الثلاثة ، المسلمين واليهود والنصارى ، ويدعى هذا الوثن بالقطب الأعظم ، وفعلاً كان قطباً تدور عليه أفلاك أرباب المصالح الدنيوية طلاب الشرف باسم الـديـن المزور ، وقد لقي كل تشجيع وتـقديس من الأيدي الخفية لإبقاء شـعـلـة الـوثـنـيـة وقَّـادة في العالم الإسلامي ، فقبر جلال الدين الرومي في دولة ضمت الإسلام ثمانية قرون على أيدي السلاطين المسلمين ، ليسوا بالعرب ولا الـعـرب مـنهم ، ولكنهم المسلمون الذين تنبأت الرسالة المحمدية بظهورهم ، فكان في ظهورهم دلالة من دلائل النبوة ، وغير جلال الدين الرومي كثير وكثير في هذه الدولة التي أضـحـت دولـة عـلـمـانـية تحارب كل ما هو إسلامي ، حتى أصبح الإسلام غريباً في بحور المادة.
4- محيي الدين بن عربي صاحب "فصوص الحكم"، والمـعـتـقـد بوحدة الوجود والحلول والاتـحـاد، وزعـيـم الـفـلاسـفـة القائلين بهذه البدعة المكفرة، أقول : إن مزاره وثن يعبد ويقدس في عاصمة دولة كانت عاصمة الخلافة الأموية، ولا يزال في أهلها الخير -إن شاء الله-، غير أن الفتنة بهذا الوثن تزداد يوماً بعد يوم، وقفت على باب القبة لأرى وأعتبر، وكنت أحمل حذاءً في يدي؛ فأنكروا عليَّ بالإجماع:
كيف تقرب من المقام وفي يدك حذاؤك ، احتراماً وتقديساً للولي ؟! إنها لعبرة وعظة لأهل التوحيد والإيمان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

5- "داتا" صاحب (مقبرة علي هجويري) في المشرق الإسلامي، ينتابها الزوار في كل صباح ومـسـاء، ومـن عجـيب ما شاهدتُه: أن له يوماً في العام تراق عليه الألبان حتى لا نجد في الأسـواق لـبـنـاً يـبـاع ويُـشـترى ، وله يوم في العام يغسل بماء الورد والطيب أسوة بالكعبة المشرفة، يتشرف بتغسيله الساسة والقادة في البلاد، وليتك ترى ما يصنع حول هذه المقبرة من منكرات أخلاقية ، فضلاً عن العقيدية ، وحولها الرقص والدف والاختلاط ، والتبرك بـسـدنـة هـذه المقـبـرة ، يُفعل ما لا يجوز ذكره ، وفي هذه الدولة حزب سياسي يزعم أنه إسلامي قد فتح باب الخرافة والبدع على مصراعيه،
ويحكى: أن وزير أوقاف هذه الدولة شكى لرئيس الدولة عجز الميزانية في وزارته ؛ فاتفق الرأي على إيجاد باب الجنة يتفـتح دخوله الأعيان والرؤساء ، ثم تباع التذاكر للسواد الأعظم من جهلة المسلمـيـن على أن من دخـل هـذا الـبـاب فـقد دخل الجنة ، وبهذا زال العجز المالي بفضل هذه التذاكر وصكوك الغفران!
ولعل القارئ يتساءل كيف يحصل هذا في دولة نالت استقلالها لتقيم حكم الشريعة في دولة إسـلامـيـة مـثـالية في المشرق الإسلامي؟ كيف يحصل هذا في دولة ضحت بالكثير في سبيل الاستقلال ومحاولة تطـبـيـق الـشـريعة الإسلامية ؟ ولا أكون مبالغاً إذا قلتُ: إن نسبة أهل البدع والخرافة تزيد على (80%) مـا بـيـن مـتـصـوف وقـبـوري وأصحاب نحل تنتمي إلى الإسـلام كالـقـاديـانـيـة والـبهائية والإسماعيلية الباطنية، أمَّا وثنية القبور فكثيرة، ومنها مدينة تعرف بمدينة القبور والتمور والفقر والإفلاس ، أعاذنا الله وإياكم من خسارة الدين والدنيا، ولا أريد أن أستطرد، فهذا مثال للعبرة والفطنة لنقول: من لهذه الأوثان المتعددة؟ ثم انتقل بك إلى قطاع آخر في عالمنا الإسلامي ...
6- مقبرة أحمد التيجاني ، زعيم طائـفـتـه ، ورائد الـتضليل ، الذي شرع للناس بمشورة الـفـرنسـيين الطريقة المنسوبة إليه ، والقائل : إن جوهرة الكمال أفضل من القرآن الكريم سبعمائة مرة ، وكذا صلاة الفاتح ، وهما وردان تردّدهما الطائفة التيجانية صباحاً مسـاءً، ويكتفون بقرائتهما وتلاوتهما عن القرآن الكريم. مقبرة زعيمهم أحمد التيجاني وثنٌ يُـعـبـد من دون الله ، ويحج له الناس تعبداً لنيل البركات.
7- مقبرة عثمان فيدو الذي صمم على قبره بناية أشبه بالكعبة وكسيت بالحرير الأسـود، وحينما سـئـل أحـد أحـفـاد هـذا المصلح ؛ قال : وضعت هذا أسوة بقبر أحمد التيجانـي، ومع أن الإمام عثمان فيدو كان ممن أقام به الله الدين ، وتبنى دعوة الإصلاح أشبه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، إلا أن طـريـقــتـه قـادريـة ، ثم تحول أتباعه إلى الطريقة التيجانية ..

وبعد ؛ فهذه سبعة نماذج من المـشـرق الإسـلامي ومغربه وأوسطه ، تعطي أمثلة من اتجاه الـعـالـم الإسـلامـي وعـقـيـدة الإسـلام الصحيحة ، ولا ننكر أن هناك منظمات وجمعيات وأحزاباً ، كلها تدعو إلى الإسلام ، ولكن أي إسلام هو؟ اتجهت طائفة إلى محاولة إيجاد الدولة الإسلامية لتنفـيذ التشريع والأحكام ، وكانت أخرى تتبنى السلوكيات والتعبد من غـيـر دخـول في الـسـيـاسة ولا شعابها الملتوية ، وهاتان الطائفتان فشلتا في تطبيق شمولية الإسلام والإيمان بقاعدته -التوحيد - ، والعالم ينتظر منطلقَ الدعوة المحمدية المبنية على تـوحـيـد الله وطاعـته واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - في كـل دق وجـل . والدولةَ الإسلامية المـنـفـذة لأحكام الله وشرعه على أساس من التوحيد والتصديق والتجرد من كل شائبة بدعة أو شرك.

أقول مرة أخرى : من لهذه الوثنية المتعددة؟ ونرجو أن يكون هذا المقال فاتحة خير ونافذة أمل في العمل على إبطال الوثنية في العالم كله ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتب

مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي

تأليف:جمال سلطان

عرض وتلخيص:د.حسن حسن إبراهيم

اخـتـلاف الـفـكـر حقيقة ثابتة..فكما أنه لكل إنسان بصمة أصبع ، كذلك لكل إنسان أيضاً بـصـمـة فـكـريـة، من صفاتها :أنها "متحولة". فقد تعرض على الكافر كافة البراهين التي تـدفـعـه للإيـمـان ، إلا أنه يحجم ، ثم يأتي لحظة تقلب موقفه الفكري رأساً على عقب، فيقرر الإيمان.

فقه الخلاف في الجيل الراشد:

في هذا الجيل تم توظيف ظاهرة الاختلاف توظيفاً بناءاً لم يحدث في أي جيل آخر. وكان ذلك ثمرة تربية الرسول-صلى الله عليه وسلم- لصحابته ونتيجة لتمسكهم بهديه. فعندما أرسل صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى إلى اليمن قال لهما:"تطاوعا ولا تختلفا" (1)، أي: لا يصر كل منكما على رأيه واجتهاده ؛ ويصعد الخلاف حوله ، وإنما يتساهل فيه ليقدم وحدة العمل على اختلاف الاجتهادات والآراء.

وجاء في بيعة الصحابة للرسول -صلى الله عليه وسلم- :"وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، إلا أن نـرى كـفـراً بـواحاً لنا فيه من الله برهان "(2) ، فهذا النص يبين مبلغ حرصه -صلى الله عليه وسلم- على وحـدة الأمـة ، حـتـى أنـه لـم يـعد ينقضها إلا نقض الإسلام ذاته.

وعندما خرج النبي-صلى الله عليه وسلم -على بعض أصحابه وقد تماروا في آية من القرآن حتى ارتفعت أصواتهم ؛ فأخذ يرميهم بالتراب وقد احمر وجهه-صلى الله عليه وسلم- ، ويـقـول :" هـلاً يـا قـوم ؛ بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه(3)، والنبي صلى الله عليه وسـلـم لم يعرض لقضية:" الصواب والخطأ في اختلافهم" ، وإنما عرض لحسم مادة الشقاق برفع كل الخلاف والانشغال عنه بغيره. والخلاف في الإسلام نوعان:

- الخلاف التخصيبي : هو ذلك الاجتهاد الجاد الذي يبحث ويتفحص لكي يخرج برأي يزيد الآخرين تبصراً بأبعاد الموقف ، ويزيدهم فهماً للقضية محل النظر ، دون إملاء هذا الرأي على الآخرين كحل نهائي لا يجوز خلافه ، وهذا خلاف محمود.

- الخلاف التفريقي :وهو ذلك الخلاف في الرأي الاجتهادي ، الذي يتعدى الموقف الفكري ليتشخص في موقف عملي يلزم الآخرين باتباعه ، ويؤسس على ذلك سلوكاً يشكل خطراً على وحدة الأمة المسلمة. وهذا خلاف مذموم.

الخلاف في واقعنا الإسلامي المعاصر :

هو خلاف تفريقي مذموم ، متجه إلى شق الصفوف وتفريقها ، وأسبابه هي:

1- ضـعــف المحصلة العلمية : وهذا يؤدي إلى تعظيم الصغائر ، وتصغير العظائم ، كمن تـنــازعوا قديماً في دم البعوضة واستباحوا دم أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وكهؤلاء الذين عندهم استعداد لتدمير الحركة كلها من أجل خلاف فقهي بسيط.

2- عدم فهم مقاصد الشريعة : فيؤدي ذلك إلى عدم فقه ترتيب الـفـروض وهو فقه غزير لا سيما الآن، حيث يصعب أن تقيم فريضة إلا على حساب أخرى، وأن تحقق مقصداً شرعياً إلا بتفويت آخر.

3- الهوى والاستبداد: ويتمثل ذلك في تقديم الولاء للحركة على الولاء للإسلام، مـمــــا يؤدي إلى إقامة حاجز بين أفراد هذه الحركة وبين غيرهم من المسلمين.

4- عقم العقل المبدع: الذي يبحث عن الأفكار الجديدة ويولد القضايا العملية الجادة التي تشغل العقل بدلاً مــن أن ينشغل بالجدل وبما لا يجدي من قضايا ، كما هو حادث الآن، فيؤدي هذا إلى انشطار الصف.

5- غياب المشروع الحركي المتكامل: أو ما يطلق عليه "استراتيجية الحركة" ، فالكثير من الفصائل الإسلامية يتحرك بعشوائية وحسب الظروف،فتكون عرضة للاختراق والتدمير من الداخل والتورط والانزلاق والغرق أحياناً .

6- أوهام الورع التي تصل بالبعض إلى حد الوسوسة ؛ فيصير بذرة للفتنة ، خاصة عندما يبدأ في إعلان انتقاداته للسلوكيات المخالفة للمستحب ، فيرسِّب ذلك حزازات في النفوس تنبه روح التمرد.
7- الـعـجـز عن إدراك طـبـيـعـة حـركة الـفـكـر وقوانينها:
ومن أهم هذه القوانين قانون: الـحـريـة ، فلا فكر بلا حرية ، والمفكر اليوم عليه مراجعة نـفـسـه ألـف مـرة قـبـل إطلاق فكرته ، لأنه سوف يهتم بالتبديع والتجهيل والتضليل ثم الاتـهـام بالـعـمـالة. وقانون آخر يهمل وهو قانون: تراكم الخبرة المعرفية وتلاقح الأفكار. فالفكرة الآن ترفض دون أن تنقد أو تهذب أو يضاف إليها.

العلاج :

لن يكون إلا بطريقة تربوية شاملة تراعي التوجيه الفني الذي يلفت ولا يصدم، وينصح ولا يحرج ، ومن ذلك :
1- تربية العاملين على التجرد لقضايا الإسلام العامة ، وأن حفظ الإسلام أقدس من حفظ الحركة.
2 - توظيف الطاقات في ضبط الرؤية الفكرية وفي ضبط منهج العمل.
3- إحياء وممارسة أدب الاختلاف في الإسلام ، فالسلفية ليست مجرد ثراء فقهي،ولكنها في المقام الأول تأسٍ تربوي وأخلاقي وسلوكي بما كان عليه سلفنا الصالح. ونحن في حاجة أولاً إلى "فقه الخلاف" ، بتحليل ظواهره والكشف عن أسبابه ، ثم نفهم التناول الشرعي له ، وبعد ذلك يأتي "أدب الاختلاف".
4- ترسيخ قاعدة الشورى في العمل الإسلامي، حتى يدرك كل مسلم رأيه محترم وله دوره وفعاليته ، وأحيانا قد يحسم المسألة.
5- إحــيــاء وتوسيع أبحاث "فقه السيرة" ، خاصة فقه السيرة في الخلاف وكيف عالجته السيرة.
6- تعميق الفهم في أبعاد ظاهرة الخلاف وكيفية التعامل مع كل بعد.
7- تربية الأفـــراد على ضبط قواعد الحوار واحترامها ، وفي مقدمة هذه القواعد: السماع الجيد للرأي الآخـر ، وتجريد عرض الفكرة بعيداً عن المزايدات ، وتحديد نقطة الخلاف بدقة.
8- الاهتمام بالنقد الإيجابي البنَّاء ، الذي يعطي البديل لما يُرفض لا الذي يقف عند حد الرفض المجرد.

الهوامش:

1- متفق عليه.
2- متفق عليه.
3- رواه أحمد.

تحزيب القرآن
وهدي السلف في ذلك

محمد عبد الله الدويش

إن الـقـلـوب تـصـدأ وتقـسو، والنفس تضعف وتهبط بها دواعي الشهوات وهواتف الدنيا، والإنـسـان يـعـيـش في هـذه الدار في معركة مع النفس والهوى والشيطان. ولئن كان المقاتل يـحـتـاج لـلسلاح المعنوي والمادي؛ فالذي يخوض في معركة المصير أولى بأن يعتني بإصلاح نفسه.

والذي يحمل لـواء الـدعـوة وراية الإصلاح أولى الناس بأن يهتم بنفسه وتربيتها ، وصلتها بالله-عز وجل- ، وأولاهم بأن يأخذ الزاد في سفره إلى الله والدار الآخرة.

وما تـقـرب إلى الله بأفـضـل من تلاوة كتابه والوقوف عند معانيه وحدوده ؛ فحريٌّ بنا أن نـضـرب مـن ذلك بـسـهـم وافــر ، ومن رحـمـة الله بعباده وفضله عليهم :أن شرع لهم ما يتعبدون به إليه سبحانه.

ولما كـان تـحـزيـب الـقـرآن من السنن المهجورة -بل المجهولة -عند كثير من طلاب العلم فـضـلاً عن عـامـة الـنـاس. في حـين كان الأمر متواتراً ومعلوماً عند السلف ، فقلما تقرأ في ترجمة أحدهم إلا وتجد أنه كان يختم القرآن في كذا وكذا. لذا رأيت أن أجـمـع بعض ما ورد في ذلك لعل الله -عز وجل- ينفع به.

تمهيد: قال ابن فارس (2/55):

"الحاء والـزاي والـبـاء أصل واحد وهو: تجمع الشيء ، فمن ذلك "الحزب" وهو الجماعة من الناس، قال تعالى((كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)). والطائفة من كل شيء حزب. يقال: قرأ حزبه من القرآن"

وقـال في "الـنـهـايـة" (1/376) :"الحـزب مـا يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كـالـورد ، والـحـزب الـنـوبة في ورد الماء. ومنه حديث أوس بن حذيفة :(سألت أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كيف تحزبون القرآن؟) .

ومـعـنى ذلـك: أن يجـعـل الإنسان لنفسه نصيباً يومياً يقرؤه ويتعاهد نفسه عليه ، بحيث يختم القرآن في كل شهر، أو عشرين، أو خمسة عشر، أو عشر، أو سبع، أو غير ذلك.

1- وقد ورد في السنة النبوية استعمال ذلك المصطلح في قوله-صلى الله عليه وسلم- :"من نام عن حزبه«"، وقوله:"إنه طرأ على حزبي من القرآن«". وقـد بـوب غـيـر واحد من الأئمة بتحزيب القرآن. وقال عقبة بن عامر: (ما تركت حزب سورة من الـقـرآن). وقال نافع:(لا تقل: ما أحزبه). وسوف يأتي تخريج هذه النصوص إن شاء الله- عز وجل-.

2- واستعمل عند السلف بلفظ الجزء ، فقد ورد في كلامه-صلى الله عليه وسلم-:"قرأت جزءاً من القرآن«". وقال عبد الله بن عمرو:(هـذا جـزئـي الـذي أقـرأ بــه الـلـيـلـة). وعن عائشة:(إني لأقرأ جزئي). وعن ابن عباس وابن عمر :(أنهما كانا يقرآن أجزاءهما بعدما يخرجان من الخلاء).
3- واستعمل بلفظ الوِرد ، فعن ابن عمر قال:(كنت في قضاء وِردي) ، وعن الحسن:(أنه كان يقرأ ورده من أوَّل الليل).

المسألة الأولى:بعض فضائل تلاوة القرآن:

إن الـنـصـوص الـدالـة على فـضـل القرآن أشهر من أن تورد ، إنما نورد هنا بعض فضائل تـلاوتـه ؛ قـال تعالى:((إنَّ الَذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـــارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ويَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ))، وقال -عز وجل-:((لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ويُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ *ومَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ واللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ)).
أما من السنة :فالأدلة على فضله كثيرة ، ومن فضائله :
1- أن الـمـاهـر بـه مع السفرة الكرام البررة ، والذي يتتعتع فيه له أجران ؛ كما في حديث عائشة عند الشيخين والترمذي وأبي داود.
2- أنه يقال له يوم القيامة:(اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا)؛ كما أخرجه أحمد وأهل السنن إلا النسائي من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.
3- أن له بكل حرف حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها كما أخرجه الترمذي والدارمي من حديث ابن مسعود.
4- أن الآية منه خير من الخلفة السمينة ، كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.
5- أن مثل المؤمن الذي يقرؤه مثل الأترجة ، كما رواه الستة إلا ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري.
6- أنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة ، كما رواه مسلم عن أبي أمامة.
7- تنزل السكينة لقراءته ، كما رواه الشيخان من حديث البراء.
8- أنه يقود قارئه يوم القيامة لتاج الكرامة ورضا الله-عز وجل- ، كما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة.

المسألة الثانية : مشروعية تحزيب القرآن:

1- حديث عـبـد الله بن عمرو ، وهو حديث طويل مشهور ، رواه جمعٌ من الأئمة بينهم الأئـمـة الـسـتة. ولفظه عند مسلم :(كنت أصوم الدهر ، وأقرأ القرآن كل ليلة ، قال: فإما ذكرت لرسـول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وإما أرسل لي ، فأتيته ، فقال : "ألم أُخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل لـيـلـة ؟" فقلت: بلى يا نبي الله؛ ولم أرد إلا الخـيـر، قال:" فـإن بحـسـبك أن تصوم

من كل شهر ثلاثة أيام... ، ثم قال : "واقرأ القرآن في كل شهر" ، قال: قلت: يا نبي الله: إني أطيق أفضل من ذلك ، قال :"فاقرأه في سـبـع، ولا تـزد عـلـى ذلك ، فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً"، قال : فشددت ؛ فشدد علي ، قال: وقال لي النبي-صلى الله عليه وسلم- :"لعلك يطول بك العـمـر" ، فصرتُ إلى الذي قال لي النبي-صلى الله عليه وسلم- ، فلما كبرت وددت أني قبلت رخصة النبي-صلى الله عليه وسلم-.

2- حديث:"من نام عن حزبه«" وقد أخرجه مسلم (747) ، وأبو داود (1313)، والنسائي (1790) ، والترمذي (581) ، وابن ماجه (1343) ، ومالك في "الموطأ "(1/ 200) ، وأبو عـبـيد في "فضائل القرآن" (285)، وعبد الرزاق في "مصنفه" (4747)، وابـن حـبــان فـي "صحيحه" كما في الإحسان (2634).

ولفظه عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نــام عن حزبه أو عن شيء منه ؛ فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر: \كتب له كأنما قرأه من الليل".

3- ما رواه أبو داود (1396) والمرزوي في "قيام الليل" كما في "المختصر" (157) عن ابن الهاد قال:"سـألـنـي نافع بن جبير بن مطعم فقال لي : في كم تقرأ القرآن ؟ ، فقلت: ما أحزبه، قال لي نافع : لا تقل "ما أحزبه" ؛ فإن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: "قرأت جزءاً من القرآن"، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود".

4- حــديث أوس بن حذيفة الثقفي ولفظه:(قدمنا على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- في وفد ثقيف ، فنزَّلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بني مالك في قبة له ، فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء ؛ فيحدثنا قائماً على رجليه حتى يُراوح بين رجليه، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش، ويقول :(ولا سواء، كنا مستضعفين مستذلين ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم،ندالّ عليهم ويدالّون علينا)، فلما كان - ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلت: يا رسول الله: لقد أبطأت علينا الليلة؟ ، قال :"إنه طرأ علي حزبي من القرآن ، فكرهت أن أخرج حتى أتمه"، قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلــم- كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل".

والحديث قال فيه أحمد شاكر فيما نقله في "تهذيب السنن"(2/113) عن ابن عبد البر:أن ابن معين قال:"حديثه عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في تحزيب القرآن ليس بالقائم". وضـعـفــه الألباني في دفاع عن الحديث ، كما في "ضعيف ابن ماجه" (283). لكن حسنه الحافظ العراقي في "تخريج

الإحياء" (1/276) والحافظ ابن حجر كما في "الفتوحات" لابن علان (3/229). وأورده الحافظ ابن كثير في "تفسيره" محتجاً به على أن المفصل يبتدئ من سورة (ق). واحتج به شيخ الإسلام ابن تيميه في حديثه عن التحزيب بالسور والأجزاء كما سيأتي.

وتد تواتر ذلك عن السلف -رضوان الله عليهم - ؛ فعندما تقرأ في ترجمة أحدهم تجد أنه كان يختم القرآن في كذا وكذا ، وسيأتي بعض هذه الآثار.

المسألة الثالثة: هدي السلف في تحزيب القرآن:

أولاً: ذكر من روي عنه الختم في سبع :

أخرج أبو عبـيـد في "فضائل القرآن" (291) بإسناده عن عـائـشـة - رضـي الله عـنـهـا - قالت:"إني لأقرأ جزئي - أو قالت: سبعي - وأنا جالسة على فراشي أو على سريري".

وأخرج الطبراني كما في "المجمع" (2/269) وقال: رجاله ثقات ، عن الأحوص قال: قال عبدالله."لا يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، اقرأوه في سبع ، ويحافظ الرجل على حزبه" . وكذا أخرجه ابن أبي شيبة (502/2) دون قوله:"وليحافظ"..

وأخـرج أبو عـبـيـد في "فضائل الـقـرآن" (263) ، والبيهقي في "السنن" (2/296) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- :"أنه كان يختم في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة".

وقال الحافظ: أخرج ابن أبي داود :عن عثمان وابن مسعود وتميم الداري:" أنهم كانوا يختمون في سبع" بأسانيد صحيحة.

وأخرج أبو عبيد (266) عن إبراهيم:" أنه كان يقرأ القرآن في كل سبع" ، و كذا رواه ابن أبي شيبة (2/501).

وأخرج ابن أبي شيبة (2/501) ، والفريابي (138) :عن هشام بن عروة قال:" كان عروة يقرأ القرآن في كل سبع".

وأخرج أيضاً (2/501) عن أبي مجلز:" أنه كان يؤم الحي في رمضان ، وكان يختم في سبع".

وأخرج ابن أبي شيبة بإسناده (2/501) :عن إبراهيم قال:" كان عبد الرحمن بن يزيد يقرأ القرآن في كل سبع ، وكان علقمة والأسود يقرؤه أحدهما في خمس والآخر في ست ، وكان إبراهيم يقرأه في سبع".

وقال ابن قـدامـــة في "المغني" (2/611) :"قال عبد الله بن أحمد كان أبي يختم القرآن في النهار في كل سبعة، يقرأ كل يوم سبعاً ، لا يكاد يتركه نظراً ، وقال حنبل :كان أبو عبد الله يختم من الجمعة إلى الجمعة". وقال إسحاق بن هانىء في "مسائله" (506) : "وسئل : في كم يقرأ القرآن ؟ قال :أقل ما يقرأ في سبع".

ثانياً: ذكر من روي عنه الختم من الثلاث إلى السبع :

سبق عن علقمة والأسود:" أنهما يقرآن في خمس وست ".
قال ابن علان (3/230) :"قال الحافظ: أخرج ابن أبي داود من طريق مغيث بن سمي قال: كان أبو الدرداء يقرأ القرآن في كل أربع. ومن طريق بلال بن يحيى: لقد كنت أقرأ بهم ربع القرآن في كل ليلة ، فإذا أصبحت قال بعضهم: لقد خففتَ بنا الليلة".

ثالثاً: ذكر من روي عنه الختم في أقل من ثلاث :

وذكر ابن علان (231/2) :عن ابن أبي داود أنه روى عن الأسود بن يزيد:" أنه كان يختم القرآن في رمضان كل ليلتين" وقال: سنده صحيح ، وأخرج الحافظ من طريق الدارمي عن سعيد بن جبير:" أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين". قال: وأخرجه ابن أبي داود، قال: وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أنه كان يفعل ذلك. ومن طريق واصل بن سليمان قال:"صحبت عطاء بن السائب فكان يختم القرآن في كل ليلتين".

يتبع

قصة

إمارة أبي صالح

د. مصطفى السيد

((قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً * آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ حَتَّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ومَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإذَا جَاءَ وعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكَانَ وعْدُ رَبِّي حَقاً)).

أطبق أبو صالح المصحف على كره ، فهو لا يتذكر منذ أمد بعيد أنّه لم يستكمل تلاوة سورة الكهف يوم الجمعة.

- ما بال هؤلاء الزوار الدائمين قد استعجلوا الحضور إليَّ ؟

ربها أكون أنا الذي أخَّرت موعد التلاوة ، أياً كان المسؤول ، ليس مهماً ، المهم والمطلوب: أن أقوّم هذا اللقاء نفسه والذي بات شبه يومي ، هل يعقل أن يستمر على نفس الوتيرة ، وعواصف التغيير أشبه بإعصار يضرب كل شيء بعنف حولنا محاولاً استئصالنا من الجذور؟

- وعليكم السلام ورحمة الله. ادخلوا ، يسترجع آية الكهف في سره ، ثم يجهر بـ:((وكَانَ وعْدُ رَبِّي حَقاً)).

- أبو صالح اليوم على غير مألوفه ، إنه يغرق وجهه في بحر لجي من الصمت ، لكأنما طرقات الباب قد أصابت منه لوحة التفكير بعطب شديد.

- لم أع ما قـلـت يـا دكـتـور خالد ، ماذا تقول؟ لم أكن معكم ، إن أحدنا يوشك أن يتهم سمعه وعقله بعد هذه الحرب الضروس في منطقة الخليج ، إن ما يجري في المنطقة يجعلنا مشدوهين ، مأخوذين ، عاجزين عن التفسير.
- سيأتي يوم تستطيع فيه معرفة الأمور على حقيقتها..
- عجباً لك يا دكتور خالد ، كثيراً ما كنا في هذا المجلس نذُمُّ انصرافك إلى قراءات نعتقد خطرها عليك ، أو على الأقــل عدم فائدتها لك. ولكن الآن نتهم مقروءنا ، لأنه لم يسعفنا في النوائب ، ونجد في مقروئك تأويل غربتنا وتعبير عزلتنا.
- أما وقد اعترفتم بأن ثقافة مجلسكم تعاني خللاً بنيوياً ومفصلياً، أو باصطلاحكم :ليست (جامعة مانعة) ، وأصبحتم بالتالي تتقبلون رأيي ، وهذه إحدى فـوائـد حـرب الخلـيـج ، فاعلموا - هداكم الله -:أننا لن نحصل على كل شيء بالقراءة وحدها..
- إن أبا صالح لم يؤخذ فقط بما سمع من الدكتور خالد ، بل هو فيما يبدو قد ذهــل عـن نفسه وعن عاداته ، فلأول مرة منذ خمس عشرة سَنة يقدم الشاي مُرَّاً قبل القهوة المُحلاَّة.
- إنـك يـا محمد تقيس حياتك ارتفاعاً وعمقاً بالشاي والقهوة ، بل لا ترى لك وجــوداً خارجهما أو في غيابهما.
- لقد رأيت ثقافة الشاي والقهوة ، واسمحوا لي أن أضيف إليهما علم الذبائح ، وطبقات فارِهِ السيارات ، وشاهق العمارات ، وجدت مثل هذه الثقافات تضمن لأهلها حياة مأمونة وعيشة راضية. ومن وجهة نظركم تُعدُّ سجناً ، لا بأس ، ولكنها سجن مريح ، يجعلك في الفعل والحضور والحجر سواء، (وحـسـبـك مـــن غنيٍّ شبع وريّ)، إن هذا المذهب لم يكن شأني وديدني فحسب ، بل هو أمر معروف عـنـــد كثير من الناس الذين يرون فوائد هذا المذهب.
- فـوائـد؟! لا حـول ولا قوة إلا بالله ، أول مرة في حياتي أسمع إنساناً يُفلسف عبوديته، ويفتخر بتحرره من مسؤوليته ورجولته.
- هوِّن عليك يا أبا صالح، فأنا مسجون قبل أن أولد ، (وسجيني في دمي ، كيف الفرار؟)
آلة الفكر تعطلت تماماً ، كأن تيار التشغيل لم يتصل بدورة الحياة ، وكان جدي بين أفراد القبيلة كلها أحد أوثق الرواة وأوعاهم وأجمعهم لتجربة القبيلة ، كان ديوانها مكتوباً على جبينه، مخطوطاً في سلوكه، ولم يكد يمر يوم في حياتنا، دون أن يقـــرأ عـلـيـنـا شيئاً من فلسفة هذا المذهب ؛ تنشئةً لنا على مناقبه وتأسياً لجيلنا على فضائله.
وكان مما حفظتُ من الوالد فيما وعاه من فم الجد:

[إن الحياة لا تستحق من مغامرة كبيرة ، ولا تستدعي أن يتجاوز حضورنا فضيلة الصمت أو تشغيل العقول ، فنحن كفينا بعقول من سبقونا ، ولم لا يعلن عن جراج لبيع العقول أو تأجيرها تحت عنوان: (عقول مفروشة للإيجار ، مؤسسة تتَّجِرُ بثقافة الاحتضار ومعلبات الأفكار).
لِم يُستنكر هذا العرض؟ ، ما دامت الجهات الأربع قد قُنْبِلَتْ بدساتير الممنوعات (لم يعد الأصل الإباحة)، ولُغِّمت بنظم المحرَّمات ، وأصبحت الخرائط بلا عالم (والناس في المدن الـكـبـرى عدد) ، إننا بأمسّ الحاجة إلى لغة شديدة الاختصار ، لأن لغتنا باتت فضفاضة مترهلة، أوسع من أمنياتنا، وأوفر من حاجاتنا ، انظروا إلى جبال الكتب وجيوش الكُتَّاب التي تسد الأفق أو تكاد، وتوشك الحيلولة بين نور الشمس والعباد، انـظـــــروا إليها وقد غدت معارض للغة الخاوية ، وكان والدي كجدي من أولئك الرجال القادمين من المستقبل إلى الماضي ، يعتقد أن مسيرة الحياة قد انتهت ، وكل إبداع آت ليس إلا ابتداعاً، إنــــه بحفــــاري القبور أشبه ، وأفكاره أقرب إلى أن تكون أكفاناً نواري فيها عزائم التجديد بعد وأدها.
- لم لا تخرج أفكار الوالد هذه بحاشية جديدة يحشَّى بها كتابه.
- أرجوك يا دكتور خالد لا تقاطعني ، دعني أكمل ، ولعلك تقوم بهذه المهمة ما دمت قد وقفت على أصول المخطوطة،وكان الولد -رحمه الله- يرى أن فلسفة التاريخ تتمثل بحركة دائرية تنتهي من حيث ابتدأت ، فهو يدور حول نفسه ، أو حول عقولنا ، وفي كل دورة تاريخية تتوسع أمداء السجن وفضاؤه ، وتعلو جدرانه علواً يُلْغِبُ المتسوِّرين ، كان يرفض تناسخ الأرواح ولكن يعتقد بتناسخ الأفكار.
كانت لغته مسكونة بالماضي ، مصادرة في أبهائه وأطلاله ، يتغنى :

لهفي على الـزمـــــن القصيـر بـيـــن الخورنق و السدير
جادك الغيث إذا الغيث همايا زمان الوصل بالأندلس

الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة يشكل مـعـجـمـــــه اللـغـوي ، كانوا عاشوا الإشارات المتلهفة ، أولئك كان يتقن استحضار الماضي دون أن يـسـتـشـعـر أي دور مستقبلي ، كيما يكون نقطة توصيل أو جسر تواصل بين الماضي والحاضر.
إنها أكثر من شجاعة ، لأن الإنسان عندما يعي سجنه يكون أكثر وعياً من إنسان يقتات حرية زائفة.
- عجبا لك يا دكتور خالد ، كيف تستطيع أن ترى بقعة خضراء وسط هذه الظلمات المتكاثفة ، وفي مثل هذه البانوراما الكالحة التي عرضها الأخ "محمد" على مسامعنا.
- لا ضير أن أصارحكم بأننا بيننا وبين هذه القبيلة أعظم من وشيجة الرحم وأكثر من صلة القربى.

- يا أبا صالح هذا ليس شعورك وحدك ، بل يخامرنا جميعاً مثل هذا الإحساس ، إن طبيباً يشخص أمراضنا بحق لا يقارن بطبيب يسوق في مسامعنا جملاً مستهلكة ، مثل هذا الطبيب الثاني ، يعجز عن مواجهة مشكلة في مبتدئها ، ليجعلنا عما قليل في مواجهتها وقد صارت معضلة يتعسر حلها ، بعد أن أنضجها الزمن الذي يسعفه جهل المعالجين أو تجاهلهم المسنود إلى جهل المعالَجين المفقود ، وحضورهم المختزل إلى أبعد الحدود ، في طريقه إلى المسجد أنشأ أبو صالح يثني على الله-عز وجل- ، أن يتجاوز مجلسه ما غرقت فيه كثير من المجالس ، من كونها باتت ملتقى لتبديد الوقت ، وبث اليأس ، وتصنيع الفراغ تمهيداً لتسويقه - في سوق العجز - تحت أسماء مختلفة ، وشرع يدعو ربه تضرعاً وخيفة أن يجعل من هذا المجلس مثابة للحائرين ، وأن يضاعف الله في قطرات الأمل التي أخذت تتلألأ على تلكم الوجوه من رواد المجلس ، وردد بفرح غامر وبهجة متنامية :((اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) [الحديد:17].
آه كم كنت أظن أن المقبرة هي الوصف الأليق بمجلسنا ، ليت كل مسلم يعرف أن لديه ما يعطيه ، وعنده ما يقدمه ليبزُغ في الكون فجرٌ جديد.
آه ليت تجربة هذا المجلس تطير إلى كل أرجاء المعمورة ، وتابع أبو صالح محدثاً نفسه :
لكَم تأملت عندما كان الدكتور خالد يحدثنا عما يجري في العالم من أحداث مهمة ولها تأثير في عالمنا الإسلامي.
إني إذا تذكرت ذلك الآن انتفضت من الأعماق ، واسترجعت قول رسولنا-صلى الله عليه وسلم- :"وليس وراء ذلك مثقال ذرة من إيمان«"، ولعل هذا الحديث يعيد الحياة إلى دستور اللاءات الإسلامية المعطل ، لعلَّ...
لم يعد لقاء الجمعة في قهوة أبي صالح مجرد فرصة للتفنن في الهروب من أعباء الحياة الجادة ومسؤوليات العقيدة الحية ، بل أخذ المجلس يُحَدِّد روَّاده ويتحدد بهم ، وجعل المترددون والمتشردون يشعرون ألا مقام مطمئناً لهم إلا في جنباته ، وصار الحوار الذي يدور بين جدرانه الأربعة يتردد في جهات البلاد الأربع ، تهاوت الجدر ، وأخذت الحياة تولد من جديد ، والشمس تشرق على البطاح النائمة ، لتوقظها برفق ، جاعلة من كل يوم ميلاداً جديداً ، اكتست الأشجار خضرة جديدة ، وباتت الطرق تنتهي بالمرتادين إلى أهداف محددة ، اتصلت الخطوط المقطوعة بأرجاء الكون الفسيح ، وحضر المقهورون الغائبون الذين كُتِّمت أصواتهم وتقطعت بهم الأسباب من المسلمين ، حضروا مجلس أبي صالح ، وتقدم الحديث عنهم ، القضايا التقليدية التي قُتلت درساً ، واستهلكت الأعمار بلا منتوج ولا مردود.
ابن تيمية بعث حياً ، أخرج من سجن الغربة والاختزال ، أعيدت قراءته عبر مجاهر جديدة ، وطرح مشروعه الإسلامي المتجدد، لم يعد ذكره ينتزع مجرد

دعاء له بالرحمة، وحوقلة العجز ، واسترجاع اليأس ، بل بات فكره دليل العمل وبوصلة تحدد للمجلس اتجاهه.
لقد سقط الذين التمسوا في ابن تيمية أدلة تعاجزهم ، فلم يروا منه إلا ما سمحت به مصالحهم وأباحه لهم هواهم.
كما سقط يا دكتور خالد أولئك الذين ظنوا أن كتب الرجل وفكره مجرد زينة وتنويع في إيقاع معزوفة الفكر المخملي.
- الفضل لله ثم لهذا المجلس الذي أحيا الله به فكر ابن تيمية ، هذا المجلس الذي يحلو للبعض أن يسميه حقاً: إمارة أبي صالح.
- غفر الله لك يا دكتور خالد ، وهل نحن النموذج الوحيد لذلك؟
- لم أقصد سوءاً يا أبا صالح ، ولكن قصدت أن مجلسك يمثل نظرة واقعية للأمور ، فالمعروف أن الكثيرين لا يسهمون في الخير ، أو لا يساهمون في البناء إلا إذا رأوا كل شيء ممهداً وميسراً أمامهم ، وهذا مقتل من مقاتل البذل ، إما كل شيء أو لا شيء ، نكون أو لا نكون ، إن جيلنا يؤدي خدمة عظيمة إذا تمكن من طرح المشروع الإسلامي بوعي وعمق ، ويسدي يداً لا تنسى إذا هيأ الأرض الإسلامية للاستنبات وطهرها من عقابيل العقم واللامبالاة.
- ما لي أراك واجماً يا أستاذ محمد؟
يا أبا صالح إن الدكتور خالد لم يترك لمتردد مكاناً يأوي إليه ، ولا فكراً يعتمد عليه.
- أين بات مخطوطك الطويل عن السجن ومرافعتك العصماء عنه؟
- يـــا أبـا صالح في طريقي إلى هذا المجلس في الأيام الأخيرة أخذ يلازمني شعور غريب، وبـدأت أدرك أن العــالم يتغير ، وأن إرادته أكبر من سجني ، كنت أول الأمر عاجزاً عن الفهم،صرت أرى في وجوه رواد المجلس ما لم أكن أرى من قبل،لغتهم تغيّرت ونظراتهم، وفي بيوتهم أخذت الحدائق تطارد اليبوسة والعبوس، الماء يسمع خريره، الـكـتــب تزاحم الأثاث ، هطل المطر بغزارة هذا العام، كنت لا أفكر إلا سهواً، ولا أناقش إلا غفلة، أشعر أن كوابيس السجن تتهاوى، الحياة تفتح ذراعيها ابتهاجاً بالعائدين ، ليمارسوا حضورهم بأنفسهم لا بغيرهم، وبذواتهم لا بمسترقيهم ومصادري آرائهم، بهموم عصرهم لا بتراكمات العقد ومشاكل الآخرين. أن تكون على الحق هو النصر الكبير، أن تكون على بينة من ربك هو الفوز العظيم.
((هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكَانَ وعْدُ رَبِّي حَقاً))
لم تدعني يا أبا صالح أكمل سفر مولدي.
- ابتهاجي بخروجك من الضيق الذي كنت فيه أنْساني حديثك أن أذكره.

قصيدة

دمعة على شهيد

خالد بن سليمان القوسي

لم يكن ذلك الصمت ، وذلك النور ليوهب إلا للصادقين أمثال: مصعب العوشن ، لله درُّك يا مصعب، ما أفصح صمتك ، وما أبلغ هدوءك ، لم تكن تريد الشهرة [في زمن الاستماتة لنيل الشهرة]، ولم تكن لتنالها لولا استشهادك ، فلله درك ، كتبت أحرفك بدمك، وأن يكتب الإنسان تاريخه بدمه فذلك قمة المجد في الدنيا.. والآخرة.

خطبوا فجادوا بالبيان وأطنب … فأبنت أنك بالمواضي أخطبُ
ما كل من ركب البيان يسوسه … عجُمت قوافيهم وأنت المُعْرِبُ
"يا مصعب" أوّاه كم نطقتْ بها … شفتاي..قلبي..أدمعي "يا مصعبُ"
إيهٍ نديَّ الصوت أنشدتَ الربى … شعراً فروحاً للمعالي تدأبُ
طاب القعود لنا فأما أنتمُ … فرأيتم أن الشهادة أطيب
عذبت لنا الدنيا وأما أنتم … فرأيتمُ أن القَضيَّةَ أعذبُ
بسمتْ لنا الدنيا ضحىً وازَّيَّنَتْ … ما كنتَ تنعمُ والجنان تثوّبُ
نُعمى الحياة سحابةٌ صيفيَّةٌ … والباقيات سحابُهُنَّ الصيِّبُ
بعتَ الحياة رخيصة لما عشقـ … ـتَ الباقيات وعشقهنَّ المكسبُ
من ذا يقود المرء من نعمائه … من ذا يشوِّقه لكي يتغرَّبُ
من ذا يقود الناس نحو حتوفهم … راح الصبيُّ وراح قَبْلُ الأشيبُ
عجبٌ -وربِّك- بذلُهم لنفوسهم … لكنَّ ما يرجون منها أعجبُ
في ليلة يخشى الأبيُّ مصابها … لم تثنه أغوالها والأذؤب
لقي المنون مشمراً متفانياً … في ساعة منها العقول تغيب
بيمينه قرآنه ، وسلاحه … بشماله وفؤاده متوثب
يتلو كتاب الله يكسوه التقى … ويلفه الصمت "الشتاء" الغيهب
عينان لا يصلاهما حرُّ اللظى … عين بكت لله دمعاً تسكب
وحسيبة جفت المراقد تمتطي … شم الجبال وللعدا تترقب
تخذ البسالة منهلاً لحياته … أكرمْ به من منهلٍ لا يجدب
كفكف دموعك يا محبُّ فإنه … لو قيل ماذا تشتهي يا مصعب؟
لوجدته يهوى الشهادة مرةً … أخرى فبحر يقينه لا ينضب
ستراه بين جنانه فدع البكا … ما مات من نحو الجنان سيذهب

دكاكين جديدة

يمتد الشارع الإسلامي الثقافي السياسي وعلى جانبيه تفتح الدكاكين أبوابها، تعرض بضاعتها وتقدمها للزائرين .. كان هذا الشارع مجهولاً ، وكان زواره ومرتادوه قلة قليلة، فيما كانت الشوارع

الأخـرى تلقـى رواداً وزواراً ، وتلقى بضاعتهم رواجاً، كالشارع القومي، والشارع الشيوعي والذي يتفرع منه الشارع الاشتراكي ، وأزقته التقدمية والـثـوريـة والـنـاصرية..الخ ، وهناك أيضاً الشارع الليبرالي التحرري.. ، أما الآن فقد قلَّ الزوار والمرتادون ، وأغلقت بعض الدكاكين وارتحل روادها ، والبعض ظل في دكانه القديم ولـكـنـه فـتـح فرعاً له في الشارع الإسلامي الذي يشهد افتتاح أعداداً كبيرة من الدكاكيـن، وارتـفـعـت لـوحـات الإعـانات الكبـيرة المضاءة .. واشـتدت المنافسة بين الجميع، لا على مـسـتـوى الـدكـاكـيـن فقط بل مستوى بعض المؤسسات والشركات الأهلية، وقبل ذلك على مستوى الدوائر الحكومية كالبلدية ووزارة الأوقاف الخ
فالبلدية على استعداد لرصف الـشـارع والقـيـام بأعـمـال الـنـظـافة، والنظافة من الإيمان، فالبلدية إذن مشهود لها بالإيمان؟!
أمـا وزارة الأوقـاف فـهي على استعداد لإقامةالسرادقات الطويلة للاحتفال بالمولد النبوي، مـقـابـل الاحـتـفال بمولد الزعيم والثورة؟! أما وزارة الخارجية فهي على استعداد لإقامة مـؤتـمـرات على حـسـابـهـا الـخـاص، ولكن عـلـى أصحاب الـشارع تأييد مـواقف الوزارة وتمجيدها ، ووزارة الزراعة ستقوم بتشجير الشارع ، وستكتب عـلـى كل جذع شجرة اسم الحاكم واسم الوزارة !! ، وهكذا.
أما عن الشركات والمؤسسات الأهلية: فقد أقامت المشاريع التجارية فـي الـشـارع الإسلامي تحت شعار: (إسلامي) ، فهناك دور أزياء للمحجبات فقط ، وتسريحات شـعـر إسلامية ، وهناك شركات تأمين إسلامية ، وهناك موسيقى وغناء إسلامي.
أما الدكاكين: فبضاعتها متنوعة ومتعددة المصادر ، كلها تحت لافتة (إسلامي) ، وتحت هـذه الـلافـتة تروج تلك البضائع والسلع الكاسدة ، كسلعة (القومية) و(العلمانية) ، وربما (الباطنية) ، على أن أكثر السلع رواجاً في السوق هي سلعة (الديمقراطية) ، وهـنـاك سلعة (الإنسانية) وسلعة (العقلانية).
وقـد قـرر بـعـضـهـم إقـامة سـوق مـركـزي (سوبر ماركت) مفتوح ، يعرض فيه جميع أنواع البضائع والسلع رغم اختلافها وتباينها ، وسيحمل السوق اسم (حوار الثقافات).
وهناك مشروع وهو إيجاد قاعة للمؤتمرات .. تضم طاولة مستديرة وكراسي .. يناقش فريق الـشـــارع الإسـلامي مع الضيوف الكرام القادمين من إحدى الشوارع (الصديقة) ، وسيكون اسـم الـقـاعـة (الحـوار والـرأي الآخــر) ، حيث الاستماع إلى الآراء والأطروحات من كلا الطرفين ، وحول الطاولة المستديرة وعلى الكراسي الوثيرة مناقشات حول تطبيق الشريعة وإمكانية ذلك .. وحكم الإسلام في الديمقراطية .. والضيوف الكرام يمطرون الفريق المضيف بوابل من التهم والأسئلة الحرجة ، ليقع الفريق المضيف في

الفخ .. ليقدم التنازلات .. تلو التنازلات .. تلو التنازلات ، يتراجع الفريق المضيف خطوة ، ويتقدم الفريق الآخر خطوة ونصف الخطوة ، وفي آخر الشارع هناك دكان منزوٍ بعيداً عن الكثير من الجمهور .. حيث تجارته مع الله لا يريد جزاءً ولا شكوراً من الناس. يقدم ما لديه، يريد سلعة الله الغالية، على نهج سليم وصراط مستقيم .. إنها طائفة الظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم. وبين هذا الدكان وتلك الدكاكين يوم الجنائز!!

المسلمون في العالم

مأزق الجزائر

الـذيـن يـتابعون أخبار الجزائر ، يتابعونها وأيديهم على قلوبهم ، فهم محبون لهذا البلد المجاهـد ، ولهذا الشعب الذي يمتلىء حمية إسلامية ، وهم خائفون عليه من المأزق الذي وقع فـيه، فالحكومة كانت تريدها نصف ديمقراطية مفصلة على مقاس معين ، فلما اختار الـشـعـب الإسـلام بـدأت الـضـغـوط العلنية والخفية ، الخارجية والداخلية ، لمنع وصول الإسـلام إلـى مـوقع القرار. فتأجلت الانتخابات ثم تأجلت مرة ثانية ، والحكومة لا تريد الـصـدام ، كـمـا أن الإسـلاميـين لا يريدونه ، فكلا الطرفين ليس من مصلحته الوصول إلى الطريق المسدود.

إن من يـنـادي بـالـحـريـة والديمقراطية لا يجوز له أن يحتال على الانتخابات كي يمنع الآخـريــن مـن الـوصـول ، وإذا كانت الحكومة تعلن ، وكذلك الغرب الذي يحرض على الإسـلامـيـيـن إذا كانوا يؤمنون بحق الشعوب في الاختيار ، فلماذا لا يدعون الانتخابات تسير حسب الأصول المتفق عليها(1).

وإذا كـانـوا يـخـافـون من الأصولـيـين كما يسمونهم ، وإذا كانوا قد اتفقوا على (مواجهة الأصوليين) في مؤتمراتهم المغلقة ، فهل يستطيعون مواجهة الإسلام؟ فالمارد الذي خرج لا يـسـتـطـيـعـون إرجاعه إلى الـقـمـقـم، وكان الأولى بهم توفير دماء شعوبهم إن كانوا يحبون أوطانهم ، ويقال لهم كما قالت قـريـش لعـثـمان بن الحويرث عندما أراد أن يتملك عليهم بمساعدة قيصر الروم ، قالوا له :"إن مكة حي لقاح ؛ لا تدين لملك"(2) ، فيقال لهم : إن هذه الشعوب اختارت الإسلام ، وليس هناك رجوع إلى الوراء.

وعلى الإسلاميين تجنب هذا المأزق بالطرق الصحيحة التي لا تنازل فيها ولا استدراج إلى حلبة الصراع، والقضية أولاً وأخيراً هي: قضية الشعب الجزائري.

الهوامش:

1- استعمالنا كلمة الديمقراطية لا يعني إيماننا بها ، ولكننا نخاطبهم بمنطقهم.
2- جواد علي : تاريخ العرب في الإسلام ص 70.

موقف الصحافة الدولية من أحداث الجزائر

رمضان بوشلوي

إن الموقف الذي وقـفـتـــه الصحافة العربية من أحداث الجزائر كان موقفاً مخزياً للـغـاية، وخـاصـة إذا قـورن بموقـف الصـحـافـة الغربية ، هذه الأخيرة التي ما كنا ننتظر أن تكون مـوضـوعـيـة في تحليلاتها ، وأمينة إلى حــدٍ ما في نقل الأخبار ، وهذا ليس مدحاً لـهـا، وإنما حقيقة تفرض نفسها.

وسأذكر بعض ما جاء في بعض هذه الصحف من تحاليل وأخبار وتعاليق :

كـتـبـت صحـيـفـة (Le Monde) الـفـرنـسـيـة في الصـفـحـة الأولى من عددها الصادر في 6/10/91، مقالاً تحت عنوان: "فوز كبير للإسلاميين الجزائريين". ثم أردفته بمقال آخر على الصفحة الخامسة من نفس العدد تحت عنوان "الفوز الهام للإسلاميين الجزائريين". وكان مضمون المقال سرداً للأحداث، واعترافاً بفوز الإسلاميين، مع وصف الشيخين "علي بلحاج" و"عباسي مدني" بأنهما يتمتعان باستراتيجية قوية ورؤية عميقة للأوضاع.

ولنا هنا وقفة لابد منها:

ونـحـن نـعـرف تاريخ هذه الجريدة وحقدها الدفين على المسلمين، ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن جُلَّ المسؤولين في الجزائر يقرؤون هذه الجريدة يومياً، وقد أثرت عليهم تأثيراً بالغاً، حتى أصبحت تحدد تفكيرهم واتجاهاتهم ، وأصبحت عندهم من العدول الذين لا يقبلون الجرح.

ونفس الـعـنـوان تـقـريـبــــاً عنونت به جريدة (The Times) البريطانية مقالاً لها بعد الأحداث؛ ومن الطريف كذلـك مـــا ذكـره مـبـعـوث جريدة (Independent) البريطانية بالجزائر في وصـفـه للـذيـن اسـتـشـهدوا خلال الأحداث فيقول: "they died smiling" أي: "ماتوا مبتسمين".

وهـذا قـلـيـل مـن كـثير ، وإن كانت لهجة الصحافة الأجنبية قد تغيرت بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالانتخابات البلدية والولائية في شهر حزيران 1990 ، ولعلها ترى أنه ليس من المصلحة الاستراتيجية التعرض بلهجة طائشة لحزب قوي الجزائر.

وأما الصحافة العربية "كعادتها" فقد حاولت منذ بداية الإضراب وصفه بأنه فاشل ، وأن الشعب لم يستجب لنداء الجبهة الإسلامية ، بينما كان العكس هو الحاصل ، فقد ذكرت مجلة "الوطن العربي" (التي طلقت صدام حسين) في عددها 220 الصادر في 7/6/91 :أن الإضراب قد فشل فشلاً ذريعاً، وأن عباسي مدني يقود الإسلاميين إلى الانتحار السياسي، وألـقـت بالمـدح عـلـى الـرئيس الشاذلي بن جديد ، ووصفته بأنه انتهج خطة طويلة النفس هزمت الإسلاميين!!

وهذا الكلام جاء لـيـؤكـد حقد القوميين والعلمانيين وغيرهم من أذناب الغرب على الإسلام والمسلمين.
وأكـبـر دلـيـل على تهافـت هـذا الادعـاء: نزول الجيش إلى الشوارع ليفض الإضراب بقوة السلاح، وحل الوزارة، ووعود الدولة التي أطلقـتها من أجل ضبط الأمر، وعدم خروجها من أيديها.
وإن كان تـشـكـيل الحكومة الجديدة هو: التأجيل والاستعداد لجولة أخرى ، ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن هذا القانون (قانون الانتخابات الجديد) كان لفرنسا يد فيه (هذا للذين يـقـولـون: إن الـجـزائـر بـلـد مستقل)، وأذهب إلى أبعد من ذلك، فأقول: أنه استُعمل علم الإحـصـاء (Statistics) وعـلـم الكـمـبـيـوتر لإعداد هذا القانون ، وذلك من خلال نتائج الانتخابات السابقة.
وخلاصة ما جاء في الصحافة العربية وخاصة الجرائد اليومية منها هو :تجاهل للحقائق ، وتحريف للواقع ، وتحريض سافر مَرَّة ومبطن مرات للدولة من أجل ضرب جبهة الإنقاذ الإسـلامـيـة ، وتشويـه سمـعـتها ، بـوصـفـها بأنـهـا تهدد الأمن والاستقرار، وأنها تهدد الديمقراطية ، وأنه يجب ألا نقبل بديكتاتورية باسم الدين. وبمحاولة خلق أكاذيب ونشر بعض الشائعات مفادها: أن هناك خلافات داخل مجلس الشورى للجبهة ، ووصف الشيخ علي بلحاج بأنه متشدد ومتطرف ، وأن الشيخ عباسي مدني معتدل ، وذلك عملاً بسياسة "فرِّق تسُد".
وأخـطـر تـهـمـة هـي مـا جـاء في جـريـدة "الـحـيـاة" نقلاً عن وكالة الأنباء الجزائرية بأن الفرنسيين اللذين اعتقلا حيث وجد في حوزتهما أسلحة وخرائط ، الخ.. كانت لهما علاقة بالشيخين علي بلحاج وعباسي مدني ، وأنهما أتيا للجزائر ليدافعا عن إخوانهما ، حيث أن أحدهما أعلن إسلامه!!

هجرة اليهود إلى فلسطين
حشود بشرية بانتظار الجولة المقبلة

مازن عبد الله

لـقـــــد حاربت إسرائيل الـعرب وتحدت المسلمين طوال الفترة الماضية وبقلة بشرية قليلة، كانت تعـتـمــد فيها على تفـوقـهـا الاسـتراتـيجي الـذي استطاعت به أن تعوض عن نقطة ضعفها بشرياً وجغـرافــيــاً في محيط بشري وجغرافي عـربي كـبـيـر ، فـكانت كلما خاضت حرباً ربحتها ، وكانت معنويات العرب حينذاك مرتفعة.. أما الآن ؛ فإن الأجواء قاتمة ، وإذا سارت الأمور على مــا هـي عـلـيه ، وبقي العرب يتخبطون في حالتهم الراهنة ، فإن ذلك نذير خطر ماحق ومخيف ، وستجري الرياح بما لا تشتهي سفن الـعـرب والمسلمين ، فحالة العرب اليوم مؤسفة، ووضعهم مُخْزٍ، والتآمر عليهم من

كل جانب، بينما تـتـزاحـم الدول على خطوبة ود إسرائيل ، فـتُغلـق الأبواب بوجـهـهم وتُفتح بوجه إسرائيل، تُنزع الأسلحة من أيديهم، وتُعقد صفقات الأسلحة الـمتطورة مـع إسرائيل ، تجهض كل حركة للخروج بالعرب مما هم فيه، ويـضـــرب الإســـلام في بلاده، ويقدم الدعم وتعطي الحرية لإسرائيل ، وتتدفق موجات الهجرة عليها ...

في عام 1835 :كانت الطائفة اليهودية في فلسطين تقدر بحوالي عشرة آلاف شخص (وفقاً لتقديرات نيفل)(1). وكانت هجرة اليهود إلى فلسطين وقتئذ ضئيلة جداً ، ولم تزد بل ولم تبـدأ بشكـلـها المنظم والمدروس إلا بعد قيام الصهيونية على يد تيودور هرتزل ، الذي أخذ على نفسه الـعـهـد بأن يكافح ضد الاندمـاج اليهودي في المجتمعات التي يعيشون فيها ، ويدافع بحماس عـن هـذه الفـكـرة ، وطـالـب بفصلهم ليكونوا دولة خاصة بهم ، لقد بذل هرتزل كل ما بوسعه لتحقيق هدفه هذا ، فـاتصـل بكل المسؤولين الفاعلين في لندن عاصمة الدولة العظمى وقتئذ ، وأقنعهم بضرورة المساعـدة عـلـى تحـقـيـق هذا الهدف الذي يريح اليهود ويريحهم. ولقد تحدث لنفس الغرض مع وزير خارجية ألـمانيا "فون بولوف " ومع "غليوم الثاني" ، واتصل بالقيصر الروسي نيقولا الثاني ، وبوزير داخليته "بلهف " الذي كتب له رسالة جاء فيها:"إن الصهيونية التي تشجع اليهود على الهـجـرة فـي روسـيـا ستلقى الترحيب ، ولكن شريطة ألا يشجع ذلك على قيام قومية أجنبية في روسيا..".

لقد كان للاضطهادات التي حلت باليهود في أوربا في روسيا ورومانيا وبولندة ، ومن ثم في ألـمـانـيـا فائدتها وأثرها الطيب عند تيودور هرتزل ، كما أن حركة "معاداة السامية" كما يسمونها ومـوجـات العداء التي انتشرت في تلك المجتمعات ضد اليهود ، ومن ثم الدعوة ، للانتقال للقـتـال لإنقـاذ الإيمـان الـيـهودي والثقافة اليهودية ورسالتها. كان لكل تلك العوامل مردودها الطيب عند هرتزل ، حيث أنها ساعدته كثيراً في تشجيع وإقناع اليهود بضرورة بناء وطن قومي ومستقل لهم ، وبضرورة الهجرة إلى فلسطين.

وفي سنة 1897 :استطاع هرتزل أن يجـمـع غالبـيـة القوى والحركات اليهودية في مؤتمر (بال) بسويسرا ، وتم على أثر هذا المؤتمر وضع مخطط عملي ، وحددت الخطوط العريضة التي يتعين على كل المشاركين في هذا المؤتمر العمل على تنفيذها وبدقة ، من أجل الوصول إلى إقامة الدولة اليهودية. وقد كان هدف الوكالة اليهودية الأساسي حينذاك: العمل على إنشاء "الوطن القومي اليهودي" في فلسطين ، وتنظيم الهجرة إليها. وأخذت على عاتقها مهمة تحقيق هذا الحلم ، وبدأت فعلاً بتجنيد كل ما تملك من طاقات من أجلها ، فكانت حلقة الوصل بين يهود فلسطين وحكومة الانتداب ، وبينهم والعرب ، وبينهم ويهود العالم..

في أواخر القرن التاسع عشر كان هناك أقل من "50000" يهودي في فلسطين ، وفي الفترة ما بين عامي: 1920و1932 وفِد إلى فلسطين حوالي 118300 يهودياً ، جاءوا بمحض إرادتهم ، ولكن طبعاً بفضل الدعاية الصهيونية وتشجيع الحاخامات المستمر ، وفي عام 1910:بعثت الوكالة اليهودية إلى اليمن واعظاً صهيونياً ادعى الاشتراكية ، اسمه"وارشفسكي" ، ولقد أطلقوا عليه لقب الحاخام..لقد بذل هذا الواعظ جهوداً كبيرة في اليمن ؛ أسفرت في النهاية عن إتمام عملية استيراد لليهود اليمنيين في عام 1948 ، العملية التي أطلق عليها اسم "بساط الريح" ، والتي نفذت على مرحلتين : الأولى: في ديسمبر 1948 إلى مارس 1949 ، والثانية :في يوليو 1949 إلى سبتمبر 1950 ، تكلفت 5ره مليون دولار.
فلقد أنشأت المخابرات الإسرائيلية أول جسر جوي بين عدن وتل أبيب ، تم بواسطته نقل حوالي 600.000 يهودي يمنيّ إلى إسرائيل ، ولقد استغلت إسرائيل وقتئذ فترة انشغال العالم الذي كان خارجاً من الحرب العالمية الثانية لتمرر هذه الصفقة وبصمت وسرية تامة لم يفطن إليها أحد.
لقد تم الجزء الأول من عملية "بساط الريح" بنجاح تام ، ولكن بالرغم من هذا ، فإن حركة الهجرة إلى إسرائيل كانت مازالت ضعيفة نسبياً ، الأمر الذي أزعج زعماء الصهيونية ، فجاء خطاب "بن غوريون" في 31/8/1948 ، وفي حفل استقباله لمجموعة من اليهود الأمريكيين ، حيث قال : "رغم أننا حققنا حلمنا بإقامة دولة يهودية ، فإننا مازلنا في بدء العملية ، وليس في إسرائيل اليوم سوى 900.000 يهودي ، في حين تتواجد أغلبية الشعب اليهودي خارج إسرائيل ، يجب أن نجلب جميع اليهود إلى إسرائيل".
لقد بدأت وعلى أثر كلمة "بن غوريون" هذه عمليات تنشيط مفتعلة في كل المناطق التي يوجد فيها اليهود ، سواه كانت شرقية أم غربية. وبدأت الدعاوي والنداءات من قِبل كبار الصهاينة والحاخامات المسؤولين عن تلك المناطق ، لتشجيع اليهود على الهجرة إلى إسرائيل ، مستعملين كل الأساليب الترغيبية والترهيبية ؛ من أجل الإسراع بتلك العملية. وهكذا كان ، فلم تمض عدة أشهر حتى استطاعت الوكالة اليهودية من استكمال عمليتها التي بدأتها في ديسمبر 1948 ، حيث نقلت حوالي 20.000 يهودي يمني من عدن إلى تل أبيب ، وكان ذلك في عام 1950.
في عام 1948: كان عدد الطائفة اليهودية في العراق حوالى 110.000 شخص. وكانت جذور هؤلاء في العراق مغرقة في القدم ، وكانوا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها العرب. ففي عام1950 ، ولما رفض حاخام العراق وقتئذ "خدوري ساسون" الانصياع لمطالب بن غوريون ودعاوى الصهاينة ، بدأت أعمال الإرهاب ضد يهود العراق ؛ فنظمت المخابرات الإسرائيلية خلايا سرية كلفتها بمهاجمة اليهود هناك ، وإلقاء القنابل عليهم،

واغتيالهم ؛ مما أدى إلى نشوء حالة من الذعر والخوف بين صفوف اليهود ، الذين ظنوا بأن العرب هم وراء أعمال العنف هذه ، فاندفعوا تحت تأثير هذا الرعب ليهاجروا إلى إسرائيل ، لقد تولت الوكالة اليهودية عملية نقل يهود العراق إلى إسرائيل ، العملية التي أطلق عليها اسم عملية "علي بابا" ، والتي تم فيها نقل حوالى 100.000 يهودي عراقي عبر جسر جوي تم فتحه خصيصاً بين بغداد وتل أبيب.

في عام1956: وبناء على موافقة ملك المغرب على هجرة يهود بلاده ، تم نقل 67.000 يهودي مغربي إلى إسرائيل. وتجدر الإشارة هنا بأن أكثر التجمعات اليهودية في البلاد العربية كان موجوداً في المغرب ، ولقد استطاع العديد منهم الوصول إلى مناصب حكومية بارزة ، وكانت تربط بينهم وبين حاكم البلاد علاقات طيبة ، فهم يكنون احتراماً كبيراً للملك محمد الخامس ، والد الحسن الثاني ، بسبب رفضه تسليم اليهود المغاربة للنازيين أثناء الحرب العالمية الثانية..

وبالإضافة إلى موجات الهجرة الرئيسية هذه ، كانت هناك عدة هجرات أخرى لليهود من البلاد العربية ، ولكنها كانت تتم بأساليب أقرب إلى الشكل الفردي منها إلى الشكل المنظم والجماعي...أما على صعيد دول أوربا ، فلقد تمت عدة هجرات مماثلة ، ولكنها كانت ضعيفة نسبياً ولم تكن بالشكل المطلوب. فإنه وبالرغم من الجهود التي بذلتها الحركة الصهيونية في تلك المناطق لتشجيع الهجرة ، لم تستطع هذه الجهود أن تحقق سوى القليل مما خططت وتعمل عليه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أكثر التجمعات اليهودية في أوربا موجودة في فرنسا وبريطانيا ، فيوجد حوالي 450.000 يهودي في بريطانيا ، وحوالي 550.000 يهودي في فرنسا ، ثلثهم من يهود شمال أفريقيا الذين هاجروا إليها من الجزائر والمغرب وتونس وليبيا منذ عدة سنوات.

لقد انتبه زعماء الصهيونية لتلك المشكلة ، فراحوا يطلقون الصيحات والتصريحات ، مطالبين إخوانهم المشتتين بالعودة إلى وطنهم "أرض الميعاد" ؛ لمؤازرة إخوانهم هناك ، والعمل معهم من أجل الوصول إلى ما "وعدوا به".. ففي تصريح لبن غوريون ، نشرته مجلة نيويورك تايمز في 2 شباط 1959 ، قال :**"وإن انتصار إسرائيل النهائي سيتحقق عن طريق الهجرة المكثفة ، وإن بقاء إسرائيل يعتمد فقط على توافر عامل هام هو: الهجرة الواسعة إلى إسرائيل".**

لقد ساهم بن غوريون كثيراً في دفع حركة الهجرة إلى إسرائيل ، وخاصة بعد الإعلان عن قيام الدولة اليهودية ، ومع المجهود الكبير الذي قام به رفاقه من الصهاينة وكبار الحاخامات الذين انتشروا في كل بقعة علموا أن فيها بعضاً من يهودِ الشتات ، تدفق اليهود وبكميات هائلة إلى إسرائيل ، وفي خلال ثلاث سنوات فقط ارتفع عدد السكان اليهود في فلسطين إلى الضعف. فعند قيام

دولة إسرائيل كان عدد سكانها اليهود حوالي 650 ألف فقط ، أضافت إليهم الهجرات الكبرى هذه حوالي 750 ألف يهودي ، هاجر معظمهم من أوروبا إبان الحرب العالمية الثانية وفي آسيا والدول العربية ، ولقد ساعد في دفع عمليات الهجرة هذه أيضاً قانون العودة الذي صدر في 15 يوليو 1950 ، والذي أضفى على عمليات الهجرة الصفة الدينية ، وذلك عندما سمى الهجرة إلى إسرائيل "العودة إلى بلادهم " ، وعندما أطلق في مادته الثانية على موجة الهجرة لفظ "عليا" ؛ أي: الحج والصعود إلى أرض الميعاد ، ويعطي هذا القانون الحق لكل يهودي في أن يهاجر إلى إسرائيل ، ولأغراض هذا القانون اعتُبر يهودياً كل شخص أمه يهودية أو اعتنقت الدين اليهودي ، أو حتى لو تحول هو إلى اليهودية ، بشرط أن يكون تحوله هذا بموافقة حاخام من الأصوليين.
لقد لعبت الصهيونية إذن بكل الأوراق المتاحة لديها ، فكانت تغري اليهود بالمال وبالمستقبل المشرق الذي ينتظرهم في إسرائيل تارة ، وتثير المشاعر الدينية والقومية لديهم تارة أخرى. وكانت تنظم الخلايا السرية لضرب اليهود الذي يجتمعون في بلاد تسمح لهم بالهجرة ويرفضون مغادرتها ، وينظمون الحملات الإعلامية عن "محاسن أرض الميعاد" لجذب اليهود. وعن تعذيب اليهود لكسب تأييد الشعوب وتعاطفهم وموافقتهم على هجرة اليهود الذين يتجمعون في تلك البلاد التي لا توافق على الهجرات الواسعة أو تضيِّق عليها.. وفي جميع الأحوال ، عرف هؤلاء كيف يستغلون كل التطورات والتغييرات المحلية والإقليمية والدولية ، من أجل تنشيط عمليات الهجرة وتحقيق أهدافهم ؛ فبعد انتصار إسرائيل في حرب 1967 لعبت الدعاية الصهيونية دوراً كبيراً في إبراز إسرائيل كقوة جبارة لا تقهر ، الأمر الذي جذب آلاف الشباب المتحمسين الذين هاجروا إلى إسرائيل وبأعداد ضخمة بعد فترة الحرب. ولقد قال "أبا إيبان" وقتئذ: "لو كنا أربعة ملايين يهودي في إسرائيل اليوم لكان لمطالبنا في الصراع القائم وزن كبير ، وإن تنشيط الهجرة اليهودية من شأنه أن يعزز مكاسبنا في الحرب ، فاحتلال الأراضي وحده ليس كافياً ، فنحن بحاجة إلى استيطان هذه الأراضي".
في 6/11/1970 :نشرت صحيفة "دافار" الإسرائيلية تصريحاً لغولدا مائير تقول فيه :"ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر أكثر من أي شيء آخر ، هو:الهجرة. توجد أمور كثيرة نحلم بشأنها ، ولكن لقلة الرجال وبسبب الحروب المفروضة علينا لا نستطيع أن ننجزها إلا إذا أتى المزيد من الرجال ".
لقد كان لندائنا هذا الأثر الكبير في دفع عملية الهجرة إلى الأمام ؛ فلقد هاجر إلى إسرائيل في الفترة ما بين عامي 1970 و1973، أي: خلال ثلاث سنوات فقط ، ما يقارب 189.000 يهودي.

فـي9/11/1977: أعـلـن أنور السادات وفي مجلس الشعب المصري عن رغبته زيارة القدس المحتلة "وغزو العدو فـي عـقــر داره "؛ في 21/11/1977:غزا السادات القدس ، والتقى بمناحيم بيغن رئيس الوزراء آنــذاك ، وفي17/9/1978 :تم توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.. لـقـــد اســتـغـلـت الدعاية الصهيونية هذا الحدث "التاريخي" وبذكاء ، لتلعب دوراً آخر بإعلانها عن انـتـهـاء الصراع العربي الإسرائيلي ، وذهاب شبح الحرب ، وتبشر بازدهار اقتصادي وتجاري لإسرائيل بعد تحقيق الأمن والاستقرار. ولقد كان لهذه الدعاية أثر كبير في جذب الكثيرين من اليهود ، وخاصة أصحاب رؤوس الأموال من الأوربيين ، فبلغ عدد المهاجرين من اليهود في الفترة ما بين1977و1979 حوالي 80ر000 هاجروا إلى إسرائيل ، وكانوا عوناً لها وسنداً في كثير من المجالات ، فساعدوا في إنمائها وإعمارها ، وساهموا في تقدمها اقتصادياً وسياحياً وحضارياً.

يتبع

في الحلقة القادمة هجرة اليهود السوفييت الفلاشا ..

الهوامش:

(1)- كتاب "المسألة اليهودية" ، لثيلان هاليفي ، باريس 1981 ، ص 17.

ماذا يدبَّر للمسلمين في إرتيريا ؟

الأحداث الأخيرة التي وقعت في الحبشة والموقف في ارتيريا ، وما الذي سيكون بين النظام الجديد والجبهة الشـعـبية التي تحاول فرض نفسها كممثل وحيد للشعب الارتيرى ، هذه الأحداث بحاجة إلى وقـفـة طـويـلـة ، فـهـذا الـشـرق الإفـريقـي ليس بعيداً عن الأحداث الساخنة في المنطقة العربية الإسلامية ، وليس بعيداً عن البحر الأحمر والدول المحيطة به ، وهذا من أسباب اهتمام الغرب ومجلس الكنائس العالمي بهذه المنطقة ، حتى أنهم كلفوا الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر بمهمة الاتصال والإشــراف على الـمـبـاحـثات بين الجبهة الشعبية والحكم في الحبشة ، ومن خلال هذا الاهتمام الغربي برزت هـذه الجبهة الـتـي يـقـودهــا نـصـراني (أسـيـاسي أفورقي) ، رغم أن المسلمين هم الذين بدأوا الـقـتـال للاستقلال عن الحبشة منذ ثلاثين سنة.

لماذا الاهتمام بالحبشة ؟

الحبشة من الدول النصرانية العريقة في إفريقيا، رغم أن نسبة المسلمين فيها أكثر من 50% ، وأصبحت أخيراُ مصدراً بشرياً لإسرائيل، فعـمـلـية نقل الفلاشا مستمرة، وكـان آخـرهــا عملية (سليمان) التي كلفت أمريكا

50مليون دولار ، وهناك دول غربية أخرى تساعد على نقل اليهود ، منها فرنسا ، وهكذا ترضي أمريكا اليهود ، وتظهر هي والغرب أمام العالم أنهم دائماً مع الأقليات التي يريد أن يبتلعها المحيط العربي الإسلامي.
إن رحيل الطاغية "منغستو" أمر لا يؤسف له ، ولـكـن الـغـرب يأخـذ الاحتياطات مسبقاً ، حتى لا يفاجأ بشيء لم يعدّ له ، فهو يساعد حركات جديدة حين يـرى الـنـظام السابق أخذ في الضعف ، وهكذا دب النشاط في جبهة القوى الثورية الديمقراطية ، وساهـم ضباط إسرائيليون في تدريب جماعة (التيغراي) ، كما كانت صلة السفير الإسرائيلى قويــة بكبار المسؤولين المحيطين بمنغستو ، كل هذا يدل على الخطة الموضوعة ، وهي :أن لا تـنـفـرد دول عربية بالبحر الأحمر ، فإرتيريا إذا استقلت وكان توجهها عربياً إسلامياً فإنها تـطل على البحر الأحمر لمسافة (1000) كم ، وإسرائيل ويساعدها الغرب تريد منفذاً إلى إفريقيـا عـن طـريـق الـبـحـر الأحمر ، وإحاطة العرب بدول عميلة ، وهي الآن موجودة في جزيرة "دهلك" المقابلة لساحل ارتيريا واليمن. (مجلة الأسبوع العربي 17/6/91).
وبعد أحداث الحبشة ، ما هو المتوقع ؟ هل تطالب الجبهة الشعبية بالاستقلال الذاتي أو الاستقلال الكلي أو يـطـلـب منها الاتحاد الكونفدرالي مع الحبشة؟ كل هذا مطروح الآن ، وما إبراز (أسياسي أفورقي) إلا ليكون ليناً مع الأحداث المستقبلية ، أما أن ترجع ارتيريا عربية مسلمة فهذا بحاجة إلى دعم حركة الجهاد الإسلامي هناك ، حتى تستمر في تعبئة الشعب وتوعيته ومقاومة الطغيان ، والطريق طويل.

أخبار الدعوة الإسلامية
في الفلبين

بجانب العمليات الجهادية التي تـقـوم بـهـا الجـبـهـة المخصصة للدعوة إلى الله بعمليات الدعوة المكثفة لدى القبائل الوثنية أو اللادينية والقـبـائـل الـنـصـرانية أيضاً ، وقد اعتنق الإسلام خلال هذا الشهر (شوال 1411هـ عدد كبير من تلك القبائـل المذكورة ، وفيما يلي بعض التفاصيل.
في يوم الـسـبت 13 شوال 1411 هـ أشهر أكثر من مائتي شخص إسلامـهـم فـي مـديـريـــة "كالامانسيج" بمـحـافـظـة "سلطان قدرات" على يد الداعية الدكتور محمد كاناكان ، وهو أحد دعاة جبهة تحرير مـورو الإسـلامية، ويضم هؤلاء خمسين عائلة وثنية أو اللادينية، والدكتور المذكور هو أحد دعاة الـجـبـهـة الناجحين في كسب النصارى والوثنيين ، وذلك بفضل من الله تعالى ثم بفضل إلمامه بلغتهم وثقافتهم.

وفي محافظة بوكيدنون -حيث معظم سكانـهـا من الوثنيين -:أسلم أيضاً خلال هذا الشهر عدد كبير من هؤلاء الوثنيين على أيدي دعاة جبهة تحرير مورو الإسلامية العاملين هناك ، وكذلك في كل من محافظة دابا والشرقية ومحافظة زامبوانجا الشمالية: أسلم أيضاً عدد كبير من الوثنيين والنصارى في المحافظتين خلال هذا الشهر ، والأمل كبير جداً -إن شاء الله تعالى- في كسب عدد كبير من النصارى والوثنيين في المنطقة إلى الإسلام.

الخيرية
بين الحسبة والضبط الإداري

أحمد بن صالح السيف

تعد ولاية الحسبة في الدولة الإسلامـية الأداة التي من خلالها تحقق دورها المنشود لتأدية رسالتها إلى البشرية جميعاً.
((وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُـهَـدَاءَ عَـلـَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)) [البقرة:142].
وهي القناة المؤدية إلى امتثال الغرض المحتم علـيـهـا ، وتحصيل الخيرية والقيمة المرجوة منها ، والتي أخرجت لتكون في الطـلـيـعـة بين الأمـم ،
((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [آل عمران:110].
فالحسبة قد وردت بعدة تعاريف ومفاهيم مـن قـبــل العلماء المتقدمين والمتأخرين ، الجامع بينها:
"أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهيٌ عن المنكر إذا ظـهـر فعله ، يقوم به والٍ مختص من قبل الدولة"(1).
وبهذا فالقائم بأمر الله لابد له من سلطة ، يأمر وينهى مـن خـلالـهـا "سـلـطـة تـقـوم على الـدعـوة إلـى الخـيـر والنهي عن الشر ، سلطة تجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحـبـل الأخوة في الله ، سلطة تـقـوم عـلـى هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر ، وتحقيق هذا المنهج يقتضي "دعوة" إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج ، وتقتضي سلطة تأمر بالمعروف وتـنـهـى عـن المنـكـر ، قائمة على التعاون بين أفراد الأمة والمسؤولين ولا يتخلف أحد عن واجبه ؛ لأن ذلك أشـد نفعاً وتأثيراً ، إذ أنه لا مكلف إلا ويجب عليه هذه الشعيرة ، إما بيده أو لسانه أو بقلبه ، وعلى كـل أحـد دفـع الضرر عن نفسه..
ولما كان هذا الأمر الملقى على عاتق الأمة لتحقيق خيرتها وأداء دورها ليس بالأمر اليسير ، لكونه صدعاً بالحق في وجوه بعض النفوس المريضة في المجتمع الباغية إشباع شـهـواتـهـا ونـزواتـهـا وحـبـاً منها في أن تشيع

الفاحشة في الذين آمنوا ، مما لا يجدي معهم الحكمة والموعظة الحسنة ، ولا ينفع معهم إلا الردع والقسر كما قال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- : (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ، وروي عن عمر -رضي الله عنه- مثله : (واعلم أنه لا قيمة لحق لا نفاذ له)(2) ، لذا وجدها أعداء هذه الأمة فرصة سانحة لإقصاء الأمر الإلهي بدعوى الحضارة والرقي إلى مصاف الدول المتقدمة - بزعمهم - ، وجعلوا اللحوق بركبهم ضداً لا يجتمع مع الشريعة الإسلامية ، أي: النداء إلى علمنة هذا التشريع السماوي ، حيث إنه بزعمهم جامد لا يتحرك ولا يواكب التطور ، وها هو "كرومر" ينفث في روع المستغربين :"إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ، ولكنَّه فشل كنظام اجتماعي "(3).

فلابد من فصل الدين عن الدولة والحكم بغير ما أنزل الله في مثل أغراض الحسبة، وتقديم الدين عقيدة ونسك بدون سلوك دنيوي.

فما كان من هذه النفوس المريضة إلا أن انساقت خلف هذه الشعارات والمقولات البراقة ، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ، باسم النهوض بالأمة والتقدم بها. ((أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) [المائدة :50] ، ليعيشوا بعد هذا في ضعف مزر وفرقة ، واستعباد وسيطرة من الأعداء عسكرياً وسياسياً وفكرياً ، فجاء إقصاء أعداء الله لشرعه بصورة مهذبة من خلال ما ينعتونه بالضبط الإداري بديلاً عن الأمر الإلهي:((ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ)) آل عمران:104].

سرقوه من زادنا الثرّ ثم شوهوه ودسوا فيه سمهم الزعاف ، وما أدراك ما الضبط المزعوم في نظرهم ، وهل له من اسمه نصيب؟.

فالضبط الإداري جاء عند القانونيين بعدة تعاريف ، الجامع منها: أنه "حق الإدارة في أن تفرض على الأفراد قيوداً تحد بها من حرياتهم، بقصد حماية النظام العام بالعناصر الثلاثة: الأمن العام ، والصحة العامة ، والسكينة العامة"(4) .

ويمارس هذا الضبط التشريعي من خلال قوانين ولوائح وقرارات تستهدف بزعمهم حماية النظام العام وصيانة استقراره وتقدمه.

فالسلطة التشريعية واسعة النطاق،حيث يجوز لها أن تنظم أي نشاط تقدر أن من المصلحة تنظيمه بواسطة الضبط التشريعي، وأن تسند القيام به إلى أي جهة تراها(5).

وذلك بتشريع بشري ناقص نابع من الهوى والميل لتحقيق مبتغاهم وإشباع نزواتهم ، ولم يعلموا أن هذا تمرد على حق الله تعالى في التشريع ، فهو المشرع الأول العالم بالخير بما يصلح أحوالهم. ((إنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) [يوسف:40].

وإذا استعرضنا واقـعـهــم لـنـرى هـــذا الادعـاء المزعوم من أن تشريع هذا الضبط بصورته الطاغوتية يكفل المحافظة على الآداب والـسـكـيـنــة والأمن والاستقرار. فنجده الانفلاتَ الأخلاقي ظاهراً للعيان،وانتشارَ الجريمة بشتى صورها، وشيوعَ القمع الناجم عن ممارسات الإرهاب.
وهـكـــذا عندما استجابت الأمة لتلك الدعاوى الملفقة وأصابها ما أصابها من هزيمة نفسية ونكــوص على عقبيها ، ها هي اليوم تعايش ما يعايشه أعداؤها من نتيجة للحكم بغير ما أنزل الله مــن واقع مزر متفكك وفقد للخيرية والتمكين ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً)) [الأحزاب:62].
فالأمر من جلـله حدى بالعلامة ابن خلدون إلى عقد فصلٍ في مقدمته : "فصل في أن العرب لا يحصل لهم مُـلـك إلا بصـبـغـــة ديـنـيــةٍ من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة".(6)

الهوامش:

1-انظر مجمل التعاريف في :(الأحكام السلطانية) لأبي الحسن الماوردي ، الطبعة الثالثة 1392هـ ، ص 240.
- (الأحكام السلطانية) لمحمد بن الحسن الفراء ، الطبعة الثانية ، ص 584.
- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، ط دار المعرفة للطباعة -بيروت ، ص 15.
- الحسبة في الإسلام ، لابن تيمية ، دار الكاتب العربي ، ص9.
2- انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب [ج 1- ص 444] ، دار الشروق ، و"صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم" ، الشيخ عبد الرحمن الدوسري ، المجلد الرابع، الطبعة الأولى 1405هـ ، ص 270- 276.
3- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، الطبعة الثالثة ، 1400هـ ، ص240.
4- انظر في تعاريف الضبط الإداري :
- الوجيز في الحقوق الإدارية ، د. عدنان العجلاني ، مطبعة دمشق ، 1385 هـ ، ص 168 .
- مبادئ القانون الإداري ، د. سلمان الطحاوي ، ص 620.
- القانون الإداري ، ماجد راغب الحلو ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الكويت ، ص 73.
5- انظر في ذلك: دروس في القانون الإداري ، د.عبد الفتاح حسن ، معهد الإدارة العامة ، ص 314.
6- انظر مقدمة ابن خلدون ، ص 136 ، ط دار الشعب.

رسالة إلى الدعاة

عبد الله الراشد

بين يدي هذه الملاحظات أقدِّم قـول الـشـيـخ عبد الرزاق عفيفي -حفظه الله - وهو يتحدث عن بعض الأخطاء الفقهية :"إن الذين لديـهـم ذكاء حاد لا يقبلون الصواب إلا إذا كان من عند أنفسهم ، وذلك أن الله أعطاهم قدرات وطـاقـات عـالـيـة وفـقـوا بسـبـبها إلى كثير من الصواب الذي أخطأ فيه الناس ، ولذلك فلديهم من الثقة بآرائهم ما يصعب عـلـى الـنـاس إقناعهم بغيرها".

لهذا أتمنى على من يقرأ هذه الملاحظات من أصحاب الذكاء الحاد أن يتفكر فيها بنـفـسـه دون أن يطيل النظر في العبارة أو الأسلوب. والله الموفق لكل خير.

أولاً : في مجال التربية والإعداد الجهادي :

إن ساحة أفغانستان مدرسة تربوية عظيمة لا يقدرها حق قدرها إلا من عاش فيها فترة من الزمن ، إذ "ليس الخبر كالمعاينة" ، وهو ميدان تبرز فيه الطاقات الكامنة في الأفراد.

إن مـعـظـم من يسيرون في طريق الدعوة إلى الله بحاجة ماسة إلى العيش فترة من حياتهم في هذا الجو الجـهـادي حـتـى تستقيم نفوسهم على الطاعة والعبادة. ويكفي في مجال التربية شعور الداعية بدنو أجله وكتابة وصيته حتى تطهر نفسه من أخطائها وأدرانها وأمراضها. ويكفي في مجال التربية الشعور بالأخوة في الله في أعلى صورها.

ويكفي في مجال التربية والإعـداد الجهادي والتدريب على مختلف الأسلحة ؛ مما يصقل الداعية ويطرد عنه عقدة الخوف المبتلى بها كثير من الناس اليوم.

لكن بقي أن نقول:أن هناك طائـفـة بـارزة مـن الـدعـاة قد لا يكونون بحاجة ماسة إلى هذا الجو ، نظراً لما حباهم الله من طاقات وقدرات عالية ، إذ لـديـهـم الاستـعـداد للمواجهة والتضحية في سبيل الله والصدع بكلمة الحق مهما كانت آثارها عليهم ، لكن لنتذكر جيداً أن هذه الفئة قليلة وقليلة جداً بالنسبة لعموم السالكين لدرب الدعوة ، ويجب عـلـيـهم أن يعلموا أن معظم الدعاة ليسوا على نفس المستوى الذي هم عليه.

وإن نظرة شاملة إلى حالة الدعاة في مختلف القطاعات ، سواء في التعليم أو في المؤسسات أو في مواقع العمل المختلفة يتبين لنا منها ما تتعرض له النفوس من الأسن والتقهقر.

وفي ظني أن العيش في جو الجهاد كفيل بإزالة الصدأ المتراكم ، وكفيل بدفع الداعية إلى النماء والعطاء والبذل والتضحية.

ثم إن المسلم الداعية الذي لم يعرض نفسه للجهاد لا يدري عن مقدار إيمانه الذي بين جنبيه ، إذ أن الجهاد فضحٌ للمنافق حيث قال المصطفى -عليه الصلاة والسلام-:"من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من شعب النفاق".

والله -جل وعلا -يقول :((لَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ولَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ)) ، ولقول سبحانه :((إلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ويَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ...)) الآية.
فهل كل القاعدين عن الجهاد من الدعاة سالمين من مقتضى هذه الآيات.
ومن العجيب أن بلاداً مثل سويسرا (وهي الدولة المحاطة بالأمن من جميع الجهات) يفرض على الفرد الذي يتراوح عمره بين الخامسة عشرة والخامسة والأربعين الالتحاق بدورة تدريبية عسكرية مدتها قرابة الثلاثة أسابيع يعيدها سنوياً وبشكل مستمر. بحيث يستطيعون خلال ساعتين "وعددهم لا يتجاوز الستة ملايين " تحضير جيش مسلح قوامه ستمائة ألف مقاتل. أليس الدعاة أحق منهم بهذا الإعداد؟
ومن الخطأ الشائع: ما ذكره لي أحد العلماء الأفاضل من أن الإعداد العسكري يمكن أن يتم في حالة نشوب الحرب ، وأنه حيثما كانت الحرب وجدت معسكرات التدرب والإعداد ، وأقول لشيخنا الفاضل الحبيب: ترى لماذا لم يفكر السويسريون بهذا المنطق؟.
إن الإعداد العسكري للجهاد في وقت قصير من السنة لن يؤثر مطلقاً على سير الدعوة وطلب العلم الشرعي ، بل ولا على الأعمال والوظائف.
كما أن الإعداد المستمر للجهاد لا يقتضي مطلقاً الحماس غير المنضبط والذي يؤدي إلى النكسات المتوالية للدعوات.

ثانياً : علاقتنا بالتيار الجهادي :

1- التيار الجهادي متكون من الشباب المتحمس الراغب في بذل نفسه لله ينقصه العلم الشرعي ، ولكنه قابل تماماً للتوجيه والإرشاد والتعليم ، فمن الواجب علينا أن نستفيد من هذه الطاقات الهائلة ونوجهها التوجيه الصحيح.
لقد رأيت أحد الشباب يستمع إلى شريط لأحد المشايخ ويقول لي : هذه رابع مرة أستمع فيها إلى هذا الشريط ، فقلت في نفسي :ترى لو كان الشيخ بينهم كم سيكون تأثيره فيهم؟
2- هذا التيار الجهادي يشعر بالنفور ممن يثبطون عن الجهاد في أفغانستان ، ولهذا سيعرض عن الإقبال على الأفكار والمحاضرات الدعوية ؛ لأن أصحابها لا يحثون على الجهاد ، وبهذا نكون قد وضعنا عوائق بيننا وبين هذا التيار.
3- إن الإعراض عن الشباب المجاهد القاصر في علمه الشرعي يؤدي إلى أن تتلقفه الأفكار المبتدعة ومناهج الخوارج ؛ فتتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال ، وإذا تبنى هذا الشباب المتحمس مثل هذه الأفكار وتلك المناهج فلا تسأل عما يحدث بعدها من الفساد.

كلمة أخيرة :

هذه الملاحظات المكتوبة ممن يعرف قدر نفسه إنما نشأت من قلب محب يشهد بفضل من وجهت لهم وسبقهم في البر والتقوى.

وإن لهم على الأمة فضلاً لا ينكره إلا الجاحدون ، فهي ليست إلا من قبيل قول القائل:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

الصفحة الأخيرة

تجربة شخصية مع شريط

حسن القارئ

ذكـر صـديـقٌ لـي يـومــاً تـجـربة مرت به ، فقال : "توقفت يوماً أستمع لشرط حول أزمة الخليج.. والقضية هنا ليست الأزمة.. وانما تجربتي مع الشريط.. لقد علمت أن المتكلم من اتجاه إسلامي آخر.. ولكن لـم يـؤثـر ذلك فيَّ كثيراً ، وإن كان حماسي لم يـعـد كما كان في البدء قبل معرفتي لانتماء المحاضر.. (وهي ظـاهـرة ينبغي للمسلم مجاهدة نفسه على الحق فيها ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنَّى سمعها أخذها واستفاد منها).. إلا أنني اسـتـمـعت إلى الشريط..وكانت تدور في نفسي أمور عجبتُ لها.. لقد كنت أستمع بذهن متحفـز ناقـد أكثر من ذهن مهيأ للتلقي والاستفادة.. فكنت كلما ذكر أمراً.. قلت في نفسي: هذا أمر لـيس فيه جديد! وذاك أمر كان ينبغي أن لا يقوله بتلك العبارة.. والحديث الذي ذكـره في الـمـوضـع الفلاني حديث أظنه ليس بصحيح. وهكذا انتهى الشريط وخرجت بانطـبـاع : أن ما قاله لـم يـكـن صـالـحـاً بـالـدرجـة الكافية لتبنيه ونشر الآراء التي وردت فيه.. ولأهمية الأمر سـأضـرب مـثـالاً تفصيلياً ورد في الشريط وكان لصاحبنا جولات ذهنية ونفسية معه.. أورد المحاضر بعض التصريحات والتحليلات جزم صاحبنا حينها أنه قرأها في مجلة إسلامية صدرت قبل تـاريـخ كلامه.. يقول صاحبنا: "فقلت مشمئزاً: لِمَ لَمْ ينسب هذه التحليلات إلى أصحابها.. إن هذا الفعل ليس من الأمانة مطلقاً" (وكانت المجلة التي يظن صاحبنا أن المحاضر أخذ منها التصريحات والـتـحـليلات مجلة تمثل اتجاهاً ينتمي إليه أو يتعاطف معه).. وزاد الأمر سـوءاً حـيـنـمـا سمعه وهو يردد - عقب ذلك - رأياً لأحد المثقفين غير الإسلاميين ، ومن ثم ينسب المقالة إليه باسـمـه ، بل ويضيف أنه أحد المثقفين اليساريين الذين لديهم تمكن في المتابعات والتحليلات السياسية.. هناك احتمالاً أن المحاضر قد لا يكون كما ظن صاحبنا ، .. لكنه لو ثبت أنه تجاهل ذكر الـمـجـلـة الإسلامية لأنها تمثل اتجاهاً آخر ، ونوه بذكر رأي اليساري بنسبته إلى صاحبه فقد وقع في ظلم عجيب.

تمت بعون الله ، والحمد لله رب العالمين